الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية

- السنة الثانية
- الـ ٣٨
- الأثنين
- ١٦ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ.ق
- ٢ اكتوبر ٢٠٢٣ م
- ٨ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

دفع تهمة الضلالة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قراءة تحليلية في سورة الضحى

بقلم د. سيروان الجنابي

صفحة ٣

مركز تراث السيد بحر العلوم في النجف الأشرف

«الآفاق» في لقاء مع سماحة السيد فاضل بحر العلوم؛ المؤسس والمدير للمركز

صفحة ٢

الأناجيل والبشارة بنبوة نبي الخاتم صلى الله عليه وآله

وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...

من قصيدة الإمام البوصيري في مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

كيف ترقَى رُقِيَّك الأَنبياءُ
يا سماءً ما طاوَلَتْها سماءُ
لَمْ يُساوُوك في عُلاكَ وَقَدْ حا
لَ سناً مِنك دونَهم وسَناءُ
إنّما مَثَّلُوا صِفاتِك للنا
س كما مثَّلَ النجومَ الماءُ
أنتَ مِصباحُ كلِّ فضلٍ فما تَص
دُرُ إلا عن ضوئِكَ الأَضواءُ
لكَ ذاتُ العلومِ من عالِمِ الغَي
بِ ومنها لآدمَ الأَسماءُ
لم تَزَلْ في ضمائرِ الكونِ تُختَا
رُ لك الأُمهاتُ الأَباءُ
ما مضتْ فَترةٌ من الرُّسلِ إلّا
بَشَّرَتْ قومَها بِكَ الأَنبياءُ
تتباهَى بِكَ العصورُ وَتَسْمو
بِكَ علْياءُ بعدَها علياءُ
وَبَدا للوُجُودِ منك كريمٌ
من كريمٍ آبَاؤُه كُرماءُ
نَسَبٌ تَحسِبُ العُلا بِحُلاهُ
قَلَّدَتْهَا نجومَهَا الْجَوزاءُ
حبذا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ
أنتَ فيه اليتيمةُ العصماءُ

▫ حوار

نظرة عابرة على شخصية آية الله محمد مهدي الخرسان العلمية والأخلاقية

▫ في حوار مع الأستاذ رضا مختاري

يعد الأستاذ رضا مختاري من أساتذة الحوزة العلمية في قم البارزين، وممن تشرفوا بلقاء الراحل آية الله محمد مهدي الخرسان وإجراء حوارات علمية معه.

وفيما يلي ترجمة حوار مع الأستاذ رضا مختاري حول شخصية الراحل آية الله السيد محمد مهدي الخرسان.

السمات الأخلاقية والشخصية

إن الراحل آية الله الخرسان (أعلى الله مقامه) كان من الشخصيات الفريدة بنوعها في عصرنا، ومن كبار العلماء، ويجب دراسة مختلف جوانب شخصيته ومؤلفاته.

اسمحوا لي أن أتحدث في مستهل حديثي عن الجانب الأخلاقي والزهد في شخصيته.

كان الراحل يصوم حتى قبل سنوات، شهر رجب وشعبان ورمضان على التوالي وفي مختلف فصول السنة.

وقبل سنوات عندما كان شهر رجب في فصل الصيف، تشرفت بلقائه في النجف الأشرف.

ذهبت لزيارته إلى مسجد الشيخ الأنصاري عند صلاة المغرب-وهو نفس المسجد الذي كان الإمام الخميني يصلي فيه مرة واحدة يوميًا ويلقي دروسه.

أدى الراحل صلاة النافلة كاملة وسار نحو المنزل مشيًا على الأقدام وسرنا معه، وكان من الواضح بأنه كان صائمًا.

كان شهر رجب، وقال ابنه بأن سماحته يصوم رجب وشعبان ورمضان في مختلف فصول السنة.

نحن في شبابنا لم نكن نتحمل الصوم لكن الراحل كان يصوم وهو طاعن في السن، والأهم من هذا إنه كان يقيم النافلة في المسجد على غرار الأيام الأخرى، ثم يراجع إليه الناس، ومن ثم يتوجه إلى بيته.

كذلك كان يقيم قبل ظهر أيام الجمعة، مجلسًا حسينيًا مليئًا بالأجواء الروحانية.

أما فيما يتعلق ببساطة حياته فأنه لأمر واضح لا يحتاج إلى شرح.

فمنزله القريب من مسجد الشيخ الأنصاري كان في قمة البساطة ولم يكن مفروشًا بالسجاد وإنما ببساط بسيط. أما الأبواب والجدران فكانت على حالها منذ عقود.

كذلك الأقلام والكتب وكتيب الملاحظات كانت موضوعة في صناديق كرتونية عادية، ولم يكن لديه رفوف خاصة للكتب ولا طاولة خاصة للمطالعة.

وباختصار، كانت حالته المعيشية وحالة منزله بشكل لا يمكن تخيل حالة أكثر بساطة منها.

هذا لا يعني بأن الراحل لم يكن لديه إمكانية الحصول على حياة أفضل أو لأنه كان مضطرًا! كلا، كان بإمكان آية الله الخرسان الحصول على كل ما يريد. فهو التلميذ الخاص لآية الله الخوئي، والصديق الخاص لسماحة آيةالله السيستاني، والصديق الخاص لآية الله السيد علي بهشتي.

كنت أعرف بأن آية الله محمد مهدي الخرسان يعيل بعض الأسر ويساعد الفقراء، لكنه ومع استطاعته على الوصول إلى ما يريد، كان يعيش حياتًا أساسها الزهد والبساطة. وكان يكرس وقته للعبادة وإقامة المجالس الحسينية وما شابهها من قضايا.

هذا في جانب علو أخلاقه وسموه، ولربما يرفض بعض طلبة الحوزة من متوسطي الحال، العيش في مثل هذا البيت.

من المهم أن يطلع الجميع على أسلوب حياة عالم كان قد عاش في الحوزة لقرن من الزمن وقدم خدمات جليلة، وكذلك بيته وزهده.

فلو تحدثنا عن هذه الأمور لكان فيها دروس للجميع ولا سيما الطلبة.

الخدمات العلمية

ما زال الوسط العلمي لا يعرف الكثير عن الخدمات العلمية التي قدمها آية الله محمد مهدي الخرسان.

فرغم إقامة مؤتمر أمناء الرسل في النجف الأشرف وفي قم برعاية مركز إدارة الحوزة والعتبتين الحسينية والعلوية، فإن آثاره ومؤلفاته لم تقدم كما ينبغي.

شهد مؤتمر أمناء الرسل نشر ٤٦ مجلدًا من آثار آيةالله الخرسان تحت عنوان «موسوعة العلامة الخرسان»، وبقى ما يقارب عشرة مجلدات لم تنشر بعد وهي ضمن هذه الموسوعة.

كان الراحل ممن ساهموا بشكل فاعل قبل الثورة الاسلامية في تصحيح كتاب بحار الأنوار الذي نشر في ١١٠ مجلدًا في إيران.

فهو العالم العراقي وغير الإيراني الوحيد الذي شارك في تصحيح بحار الأنوار، ومنها ٩ مجلدات نشرت بتصحيحه.

يومها كان يصحح من النجف الأشرف ويرسل تصحيحه إلى طهران، حيث كانت دار نشر الإسلامية تتولى نشر الكتاب.

فآية الله الخرسان العالم العربي الوحيد أو العالم الوحيد من حوزة النجف الأشرف، الذي شارك في تصحيح بحار الأنوار.

آل الخرسان

أسرة الخرسان من الأسر العريقة علميًا في العراق والنجف الأشرف.

فوالده الكريم آية الله السيد حسن الخرسان أول من نشر كتاب الحدائق والاستبصار والتهذيب في إطار الطبع بأسلوب الحرف المتحرك.

كذلك فإن شقيقه السيد محمد رضا الخرسان كان من علماء النجف وقد توفي قبل سنوات.

فهذه الأسرة، أسرة أصيلة وعلمية وعريقة في النجف الأشرف ومعروفة زهدًا وديانة.

علاقته بالإمام الخميني

قبل التطرق إلى الجانب العلمي، دعوني أستذكر بقضية مهمه، وهي علاقة سماحته بالإمام الخميني (أعلى الله مقامهما).

فقد أخبرني آية الله الخرسان بأنه استأجر بيتًا لنجل الامام الخميني السيد مصطفى عند مجيئهما إلى النجف الأشرف. فكان الحاج السيد مصطفى الخميني جارًا لسماحة السيد الخرسان، وعندما رحل السيد مصطفى عن الدنيا، جاءت خادمته في الصباح الباكر، إذ لم يعرف أحد بالأمر، إلى بيته وهي متوترة تخبره بوفاة نجل الإمام الخميني.

المصدر: شفقنا

صدر حديثا

البلاغة في نهج البلاغة

صدر حديثا كتاب "البلاغة في نهج البلاغة"، ويعد الكتاب معجما موضوعيّا لفنون وأساليب البلاغة العربية في نهج البلاغة.

أصدر قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدّسة، كتاباً جديداً توسّم بـ(البلاغة في نهج البلاغة)، معجم موضوعيّ لفنون وأساليب البلاغة العربية في نهج البلاغة.

الكتاب أشرف على إصداره مركز الدراسات والمراجعة العلمية التابع للقسم، ومن تأليف الأستاذ محمد جليل عباس الحسناوي.

يتألّف الكتاب من سبعة أجزاء، تناول فيها الجناس والطباق والمقابلة وأساليب الطلب من الأمر والنهي والاستفهام والنداء، ويهدف إلى التمهيد لوضع معجمٍ بلاغيّ شامل لألفاظ وتراكيب نهج البلاغة.

ويعتبر الكتاب جديداً في بابه وعنوانه وتبويبه ومادته، إذ انتهج المؤلّف في تبويبه منهج المعاجم الموضوعيّة، ورصَدَ من خلاله أهمّ أساليب البلاغة العربية.

ويعدّ الكتاب إكمالاً للمشروع الأدبيّ حول نهج البلاغة، فقد سبق أن صدر عن مركز الدراسات والمراجعة العلمية، إعراب نهج البلاغة والمعجم الصرفيّ المفصّل لألفاظ نهج البلاغة.

وكالة الحوزة

الأخبار الدولية

مكتب سماحة آية السيستاني ﷺ صدر بيانا بشأن حادث الحريق المروّع في قضاء الحمدانية

نص البيان

بسم الله الرحمن الرحيم/ إنا لله وإنا إليه راجعون

تعرب المرجعية الدينية العليا عن بالغ الأسى والأسف لحادث الحريق المروّع الذي وقع في قضاء الحمدانية وأسفر عن سقوط مئات الضحايا والمصابين، وإذ تقدم تعازيها للعوائل المكلومة وتبدي تضامنها معها تسأل الله العلي القدير أن يربط على قلوبهم بالصبر ويشمل الضحايا بواسع رحمته ويمنّ على المصابين بالشفاء العاجل. ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

مكتب السيد السيستاني

إيران تخترق الأرشيفات القضائية "الإسرائيلية".. كشفت معلومات "حساسة" عن نتنياهو

أعلنت صحيفة "طهران تايمز" الإيرانية الناطقة باللغة الانجليزية أنها تمكنت من الوصول إلى جميع الأرشيفات القضائية الإسرائيلية، والتي تتضمن معلومات مهمة وحساسة حول ملف نتنياهو.

وبحسب الوثائق القضائية الإسرائيلية، التي كشفتها الصحيفة الإيرانية، "يعاني نتنياهو وزوجته سارة من انتكاسات المرض النفسي، وهو ما دفع بعض أعضاء حزب يائير لابيد إلى التوجه إلى المؤسسة للتشكيك في مدى ملاءمة نتنياهو للمناصب العليا في إسرائيل".

وكالة براثا

ايران والسعودية تبحثان الغاء التأشيرة وتطوير السياحة البينية

أعلنت نائبة وزير التراث الثقافي والسياحة الإيرانيية مريم جلالي دهكردي، اليوم الجمعة، استمرار الجهود الإيرانية والسعودية لتطوير العلاقات السياحية وإلغاء التأشيرة بين البلدين.

وأضافت مريم جلالي دهكردي الموجودة حاليا في العاصمة السعودية الرياض للمشاركة في فعاليات يوم السياحة العالمي، أنه "تم تبادل الأفكار مع وكيل وزير السياحة السعودي للعلاقات الدولية والسياحة الخارجية، سلطان المسلّم، حول سبل إزالة العوائق التي تعترض سبيل تطوير العلاقات السياحية بين البلدين".

كما دعت جلالي، وزير السياحة السعودي لزيارة إيران.

نينا

وزير الأمن الإيراني: إحباط مخطط اغتيال عدد من رجال الدين السنة والقضاة

كشف وزير الأمن الإيراني حجة الاسلام اسماعيل خطيب عن إحباط مخطط لاغتيال عدد من رجال الدين السنة والقضاة وحرس الثورة في البلاد.

تسنيم

في إقليميْ بلوشستان وخيبر.. عشرات الشهداء في تفجيريْن استهدفا مسجديْن في باكستان

إستشهد وأصيب العشرات، الجمعة، في تفجيريْن استهدفا مسجديْن في إقليميْ بلوشستان وخيبر في باكستان. استهدف الانفجار الأول احتفالًا بمناسبة المولد النبوي الشريف قرب مسجد، في بلدة مستونغ في إقليم بلوشستان (جنوب غرب)، وأسفر عن إستشهاد ٥٢ شخصاً، وفقًا لمسؤولين باكستانيين. وقع الانفجار الثاني داخل مسجد، في منطقة هنغو قرب مدينة بيشاور، في إقليم خيبر (شمال غرب) وأوقع شهيدين، بحسب حصيلة أولية. وبثّت حسابات على مواقع التواصل مقاطع مصورة تظهر دمارًا في المسجد وجثث عدد من القتلى على الأرض. وقالت الشرطة الباكستانية: إنّ سقف المسجد في منطقة هنغو انهار على المصلّين جراء الانفجار الذي وقع في أثناء صلاة الجمعة.

الوفاق

الشيخ الصفار يؤكد على أولوية الوحدة في المجتمعات والأوطان

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار أن تكون الوحدة على رأس الأولويات في المجتمعات والأوطان. مؤكدًا أن قضية الوحدة في الاجتماع الإسلامي، وفي الفكر الديني، ليست قضية جانبية كمالية، بل هي مبدأ أساس، لا يصح تجاهله ولا التساهل فيه. جاء ذلك في خطبة الجمعة ٧ ربيع الأول ١٤٤٥هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٣م بمسجد الرسالة بمدينة القطيف شرقي السعودية بعنوان: أولوية الوحدة في الاجتماع الإسلامي.

وكالة أنباء حوزة النجف الأشرف

'تجمع العلماء' يستنكر استقبال السعودية وزير السياحة الصهيوني

استنكر "تجمع العلماء المسلمين" في لبنان في بيان "استقبال الرياض لوزير السياحة الصهيوني حاييم كاتس وتجوله الحر في شوارعها". ولفت التجمع الى ان "هذا الأمر يأتي في إطار مسار التطبيع الذي تسير فيه السعودية بعد اشتراك العدو الصهيوني في مؤتمر اليونسيكو الذي عُقد في الرياض"، وأشار الى أن "هذا التوجه لا يعبر عن رأي الشعب السعودي ومصيره الفشل".

ونوه التجمع "بعمليات المقاومة في الضفة الغربية المحتلة خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية، سجلت خلالها ١٥ عملا مقاوما استهدفت جنود الاحتلال الصهيوني والمستوطنين"، واضاف "هذا التصاعد في العمليات في الضفة الغربية رغم كل إجراءات العدو الصهيوني تؤكد ان المجتمع الصهيوني بات فاقدا للمناعة وان زواله بات قريبا جدا بإذن الله سبحانه وتعالى".

العالم

لقاء

مركز تراث السيد بحر العلوم في النجف الأشرف

«الآفاق» في لقاء مع سماحة السيد فاضل بحر العلوم؛ المؤسس والمدير للمركز

يقع المركز في شارع الطوسي، جنب المرقد العلوي المطهر في بناية مكتبة السيد هاشم آل بحر العلوم والمركز أهلي وليس حكومي، يدار، من قبل الأسرة ولنا فرع للمركز بقم المقدسة أيضاً.

مكتبة السيد بحرالعلوم تحتوي على حوالي الست مئة مخطوطة والتي سرقت في زمن صدام واستعيدت بعد سقوط الصنم وكانت هذه السرقة سبباً لحفظها من التلف والخراب، مضافا إلى الكتب التي استودعت في مكتبة الإمام الخوئي بعد هدم البيت وقد بقيت منها حوالي المائتين نسخة. علما أن المخطوطات في بغداد والتي أنتقلت بعد سقوط الصنم إلى حرم أميرالمؤمنين عليه السلام وكنا نتفاوض مع الحكومة لاستعادة هذه النسخ الموقوفة على بيت المرحوم وأضفنا مكتبتنا إلى مكتبة السيد هاشم بحرالعلوم وقد بنينا البيت واستعدنا النسخ والكتب وجلبنا الكتب من قم ولندن. والآن وبحمد الله، المكتبة اعيدت بحلة جديدة واضيفت لها بعض المخطوطات والوثائق والكتب الحجرية والمطبوعة وقد لمسنا آثار بركة العثور على المخطوطات اثناء عملية طبع موسوعة «المصابيح» للعلامة بحر العلوم والتي كان يدعي البعض أنها مجموعة مسودات جمعها ولده السيد رضا، الا أنه تم العثور على النسخة الأصلية بخط العلامة مما اضطرنا لتأخير طباعة الموسوعة لمقارنتها مع نسخه الأصل.

- هذا وبهذه المناسبة أحب أن أتقدم بجزيل الشكر لمركزكم الموقر على اتاحة هذه الفرصة لي! لشرح اوضاع المكتبة وضروفها نبذة عن حياتي.

ذهبت إلى لندن عام ١٩٨٤ عندما أكملت الثانوية في بغداد لأنني كنت كثير الترددعلى النجف مما ولد قلق المرحوم السيد الوالد، فارسلني إلى لندن للدراسة.

بعد أن أكملنا الدراسة في فرع الهندسة وبعدئذ الماجيستر في الهندسة، شرعت في العمل الحر ومع ذلک لن أنقطع عن درس الحوزة وبعدئذ توفقنا لتأسيس مؤسسة الإمام علي ﷺ وهو مركز ارتباط السيد السيستاني في لندن ومن ثم مؤسسة آل البيت في لندن أيضاً وهذا صار توفيقا مباشرا لي لأن العلماء كانوا يأتون إلى لندن للعلاج ويقيمون في المؤسسات العائدة ا لى مكتب السيد السيستاني وكنت أنا استغل هذه الفرصة فاطلب منهم تدريس المقدمات وبداية السطوح، فاستفدت منهم كثيراً إلى أن أبتدأت بزيارة قم، حيث شرعت في دراسة الحوزة واستمريت على ذلك حوالي العشر سنوات.

ومن ثم شرعنا في تأسيس مركز تراث السيد بحر العلوم وتم الاستعانة باشخاص لتصوير نسخ مخطوطات الاسرة من المكتبات الرئيسية في قم كمكتبة السيد البروجردي ومكتبة السيد الكلبايكاني وغيرها في قم ومكتبة العتبة الرضوية في مشهد المقدسة وكذلك المكتبات في طهران فصار لدينا ما يقارب المائة مصورة وابتدأنا بتحقيق هذه الكتب.

وتم اصدار مجموعة من الكتب وبعدها وصلنا خبر أن مخطوطات مكتبة السيد هاشم بحر العلوم موجودة في الحرم العلوي وصارت مفاوضات بيننا وبين العتبة العلوية وأرجعنا الكتب إلى المركز ولكن في هذا الوقت كانت المشكلة أن البيت كان مهدوما فكان من اللازم أن نعمره، فبنينا البيت والحمدلله تم البناء والافتتاح واستعدنا الكتب الخطية قريب الخمسمأة وستين كتاب ولكنها في الواقع تحوي حوالي الألف وثلاث مائة عنوان وكثير منها تحتوي على رسائل عديدة وبها من النفائس مثل بحر الأنساب و نسخة من الوسائل عليها تعليقات صاحب الوسائل قبل وفاته ونسخ كثيرة. وهناک قرابة الثلاثين كتاب ورسالة للأسرة والأجداد.

ونحن، خلال عمل التحقيق في المركز، نركزعلى الفترة الذهبية التي لم يسلط عليها الضوء وهي فترة انتقال الحوزة إلى النجف وفترة ما قبل الشيخ الأعظم وهذه هي مرحلة مهمة لكي يلاحظ طالب العلم تطور العلم. وهناک كتب عظيمة فقهية وأصولية، أخلاقية، وكتب في السيرة والدعاء وكلها طي النسيان. فهذه نبذة عن تأسيس هذا المركز والحمد لله الآن انتهينا تتحقيق وطبع حوالي الواحد وعشرين كتاب والمفروض أن يصدر أكثر ولكننا تأخرنا بسبب اكتشاف المخطوطات ولأن الكتب كانت محققة قريبة الطبع ولكن حين عثرنا على نسخة الأصل صار البناء أن نتأنى لنقارن مع النسخة الأصلية. مثلا البرهان القاطع وهو شرح لمختصر النافع للسيد علي؛ حفيد السيد بحرالعلوم، حققناه على النسخة الحجرية. كذلک نسخة إجازات لبحر العلوم حققناها وطبعناها وبعد ذلک عثرنا على النسخة الأصلية وهي بعضها بخط المجيزين علما أن لدينا بعض النفائس من الكتب الفارسية أيضا.

كان في السابق يتم التحقيق والطبع في قم ولكن أخيرا بحمدالله شكلت لجنة من المحققين في النجف ليتم تحقيق الكتب وارسالها الى الطبع في قم. هذا ومما يجدر الاشارة اليه قبل نهاية حديثنا انه حينما كانت الكتب المخطوطة في الحرم أحدهم قال: أتركوها في الحرم لكي تصير مكتبة مركزية للمخطوطات وأنا كنت معارض لهذا القول وقلت أن قوة المذهب تكمن في تفرع المؤسسات والمكتبات وتوزيعها، لأنه إذا صارت مكتبة مركزية فنحن لا ندري لربما يقع شيء لهذه المكتبة المركزية، لذا الأفضل تشجيع الفروع وتنميتها.

والحمد لله رب العالمين.

شهداء الفضيله

الشهيد آية الله السيد قاسم الشبر رحمة الله عليه

ولادته ونسبه

ولد شهيدنا السعيد ١٣١٠هـ في مدينة النجف الأشرف، والده العلامة السيد محمد شبر وهو حفيده آية الله عبدالله شبر رحمة الله صاحب التفسير المعروف به (تفسير شبر).

بعد أن تجاوز مرحلة الطفولة والمراحل الأولى للدروس العامة دخل الحوزة العلمية في النجف الأشرف وتتلمذ على يد المرحوم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني، بعد ذلك هاجر إلى مدينة النعمانية بوكالة من آية الله الاصفهاني وقضى أربعين عاماً في إرشاد ووعظ الناس نحو الطريق الصالح وهو طريق آل البيت عليهم السلام إلى أن امتدت إليه يد الطغمة البعثية.

المؤلفات

شهيدنا الراحل له مؤلفات عديدة منها (المؤمنون في القرآن) في جلدين شرح فيهما الآيات القرآنية التي نزلت بحق المؤمنين وصفاتهم، تقريرات لبعض أساتذته في الفقه والأُصول.

اعتقاله واستشهاده

عندما اعتقلت السلطة الغاشمة المرجع الشهيد الصدر أبدى الشهيد شبر تنفره من هذه العملية وندد بحكومة البعث ودعا الجمهور لاستنكار العملية وعلى أثر ذلك خرجت تظاهرة جماهيرية في مدينة النعمانية في موجة الاعتقالات التي شملت علماء الدين باعتقال شهيدنا المترجم له، ولم يمنع كبر سنة وشيخوخته عن أن يتعرض لأنواع التعذيب الجسدي والنفسي في سجون البعث.. وينقل مشاهدون في السجن أن الدماء كانت تنزف من يده أثر الضرب المبرح حينما جيء به إلى غرفة الطبابة في سجن الأمن العامة في بغداد.

ورغم كل ذلك فلم يتمكن الحاقدون على الدين من جلاوزة النظام ان يستحصلوا من شهيدنا اعترافاً ضد الجمهورية الإسلامية، أو ضد الحركة الدينية في العراق للإفراج عنه، وصمد الشهيد السعيد أمام التعذيب المبرح حتى تم نقله إلى مستشفى الرشيد العسكري في بغداد حيث رقد فيها عدة أيام، وينقل من كان معه في المستشفى انه لم يترك نصحه ووعظه وتذكيره بالله للمحيطين به من رجال الأمن وجلاوزة النظام، وبلغ الحقد البعثي على الدين وعلمائه ان حكموا عليه بالاعدام في المحكمة الصورية التي طالت العشرات من علماء الدين، فاستشهد صابراً محتسباً ليلة النصف من شعبان ١٣٩٩هـ عن عمر يناهز السبعين عاماً، فرضوان الله وصلواته وبركاته عليه.

مقال

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم داعياً بغير لسانه

● فاطمة شعيتو

في دراسة قام بها أحد علماء النفس، توصّل إلى أنّ ٧٪ فقط من الاتّصال يكون بالكلمات، و٣٨٪ بنبرة الصوت، و٥٥٪ بلغة الجسد، ولو اختلفت الكلمات ولغة الجسد، فإنَّ الفرد يميل إلى تصديق لغة الجسد. من هنا، توصف لغة الجسد بأنّها لغة عالميّة، يمكن قراءة مؤشّراتها وفهمها مهما اختلفت الألسن وتعدّدت الألوان.

وقد تضمّنت الروايات الشريفة مواقف كثيرة تبرز لنا أهميّة لغة الجسد ومهارات التواصل الفعّال مع الآخرين في الحياة الاجتماعيّة والدعوة إلى الله. وفي ما يأتي، سوف نسلط الضوء على أهمّ المؤشّرات ودلالاتها المستقاة من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونفسّرها انطلاقاً من علم النفس الحديث.

لغة الهيئة وأوضاع الجسم

قال الإمام الرضا عليه السلام في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعاً يَخُطُو تَكَفِّياً، يَمْشِي هَوْناً ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعاً من شدّة استرساله"؛ أي أنّ مشيه صلى الله عليه وآله وسلم كان برفع رجله بسرعة وبمدّ خطوه خلاف مشية المختال، وكلّ ذلك برفق وتثبّت دون عجلة. والمشي برفق ولين وهدوء مؤشّرٌ على التواضع، والمشي بسرعة معتدلة، وبخطوات مشدودة يدلّ على الثقة بالنفس.

"فإذا التفت التفت جميعاً"؛ أي أنّه لا يسارق النظر، أو لا يلوي عنقه يمنة ويسرة إذا نظر. وفي قوله عليه السلام: "من شدّة استرساله" أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لشدّة استئناسه ورفقه ومداراته النّاس كان لا يلتفت التفات المتكبّرين بالعين والحاجب، بل إذا أراد النظر إلى جليسه والتكلّم معه أقبل إليه والتفت بكامل بدنه.

والالتفات الكامل بالبدن دلالة على الانفتاح، والرزانة، والتواضع. وقد ذكر علماء النفس أنّ للإنسان جانباً ليّناً منفتحاً يشتمل على: الوجه، والعنق، والصدر، وراحة اليدين... وجانب صلب منغلق، وهو ما يسمّى "بالكتف الباردة"، يشتمل على: قفا الرأس، وقفا العنق، والكتفين، والكوع... والإنسان المنفتح يبدي الجانب الليّن للآخر المقابل له، أمّا المنغلق فيعرض عن الناس بكتف باردة.

لغة الوجه

"وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ وَأَشَاحَ". أشاح بوجهه؛ أي أعرض تكرهّاً، وعابساً. والمشيح الجاد في الأمر. وعقد الحاجبين، والإعراض بالوجه هما من المؤشّرات الواضحة الدالّة على الغضب.

لغة العيون

"خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ". النظر إلى الأسفل في لغة الجسد يدلّ على التواضع، أو التأمّل والتفكّر، أو الخجل.

لغة اليد

"إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ قَارَبَ يَدَهُ الْيُمْنَى مِنَ الْيُسْرَى فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَةَ الْيُسْرَى". يشير هذا الحديث الشريف إلى الانسجام الكبير بين لغة جسد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكلامه، فتقليب الكفّ دلالة على التعجّب، ومقاربة باطن اليد بكفّ اليد الأخرى، مؤشّرٌ على أنّ المتكلّم يصل إلى مشاعر الشخص الآخر بإيجابيّة ولطف، والضرب بالإبهام على راحة اليد اليسرى دلالة على التوكيد على القول.

شبك الأصابع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ شِيعَتُنَا هَكَذَا بِنَا مُخْتَلِطِينَ" -وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ- ثُمَّ قَالَ: إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِين". يُفهم من تشبيك الأصابع أنّ اختلاط الشيعة بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وآله يوم القيامة كتشبيك الأصابع ببعضها بعضاً، ففي حركة تشبيك الأصابع دلالة على التعاضد، والتداخل والاختلاط، وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتوكيد المعنى.

الجمع بين السبابة والوسطى

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: "بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ" -وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى- ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَجِدُ السَّاعَةَ بَيْنَ كَتِفَيَّ". اكتفى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالإشارة بإصبعيه السبابة والوسطى، وهذا يدلّ على أثر الإشارة وقوّتها في توضيح المعنى ممّا يغني عن الكلام.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة إذا اتّقى الله عزّ وجلّ، وأشار بالسبابة والوسطى". وفي هذه الحركة دلالة على التلازم والصحبة.

رفع يد الآخر إلى الأعلى

في يوم غدير خم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أيّها الناس، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ ثلاث مرّات، قالوا: بلى، قال: ادنُ يا عليّ، فرفع يده ورفع رسول الله يده... فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه".

إنّ إمساك اليد ورفعها إلى الأعلى من أقوى الإشارات العالميّة التي تعبّر عن القوّة والمساندة والتعاضد، ولعلّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد بهذه الإشارة أيضاً توجيه الجمهور وجذب أنظاره إلى الإمام عليّ عليه السلام ليؤكّد على ولايته ومبايعتهم له من بعده.

وفي الختام، هذه لمحات سريعة عن لغة الإشارة في سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، ويبقى أنّ شخصيّته العظيمة لا يمكن أن تحيط بها مقالة موجزة كهذه المقالة المتواضعة؛ فالمؤشّرات كثيرة وكذا دلالاتها، وكلّ لبيب من الإشارة يفهم.

المصدر: مجلة بقية الله، العدد ٣٨٥

علماء وأعلام

آية الله السيد علي الطباطبائي رحمه الله عليه

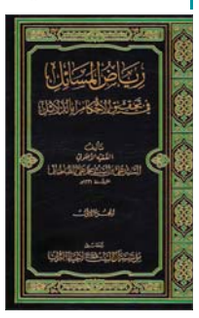

إسمه ونسبه

السيّد علي بن السيّد محمّد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير الطباطبائي.

ولادته

ذكره السيد محسن الأمين فقال: السيد علي بن السيد محمد علي بن أبي المعالي الصغير بن أبي المعالي الكبير أخي السيد عبد الكريم جد بحر العلوم الطباطبائي الحائري ولد في الكاظمية ١٢ ربيع الأول سنة ١١٦١ هـ وتوفي سنة ١٢٣١ هـ وجاء في تاريخ وفاته (بموت علي مات علم محمد) ودفن في الرواق الشريف مما يلي مقابر الشهداء وهو مع الآغا البهبهاني في صندوق واحد يزار، وما يحكى عن مجموع للسيد مهدي بحر العلوم الطباطبائي من قوله: وفاة العم المرحوم السيد علي سنة ١٢٠١ هـ وما في روضات الجنات من أنه توفي حدود إحدى ومائتين بعد الألف الظاهر أنه وقع فيه نقصان ثلاثين سنة أولاً لمخالفته للتاريخ المذكور المنظوم ثانياً لأن عمره على هذا يكون أربعين سنة ويبعد بلوغه هذه الغاية من العلم والتأليف في هذه المدة... الخ.

وجاء في الأعيان أيضاً: وكان في أول أمره يكتب بكتابة الأكفان وهو مشغول بتصنيف الرياض، ثم انفتح عليه باب الهند في الدول الشيعية وصارت الدراهم عنده كأكوام الحنطة حتى اشترى دور الكربلائيين من أربابها ووقفها على سكانها وأهلها جيلاً بعد جيل وبنى سور كربلاء وطلب عشيرة من (البلوج) وأسكنهم كربلاء لقوتهم وشدتهم وروج الدين بكل قواه وبذل في سبيل ذلك كل لوازمه وعظم أهل العلم... الخ.

أساتذته

نذكر منهم: خاله الشيخ محمّد باقر الأصفهاني المعروف بالوحيد البهبهاني.

تلامذته

نذكر منهم: ١.الشيخ محمّد المازندراني المعروف بأبي علي الحائري.
٢.السيّد محمّد جواد الحسيني العاملي.
٣.إبنه السيّد محمّد الطباطبائي.
٤.إبنه السيّد مهدي الطباطبائي.
٥.الشيخ محمّد إبراهيم الكلباسي.
٦.السيّد أبو القاسم الخونساري.
٧.الشيخ جعفر الأسترابادي.
٨.السيّد محمّد باقر الشفتي.
٩.الشيخ أسد الله التستري.
١٠.الشيخ أحمد النراقي.

أقوال العلماء فيه

١. قال الشيخ الوحيد البهبهاني عندما أجازه بالرواية عنه: (استجازني السيّد السند، الماجد الأمجد، الموفّق المسدّد، الرشيد الأرشد، المحقّق المدقّق، العالم الكامل، الفاضل الباذل، صاحب الذهن الدقيق، والفهم الملي، الطاهر المطهّر، النابغة النورانية، صاحب النسب الجليل الرفيع، والحسب الجميل، والطبع الوقّاد، والذهن النقّاد، ولدي الروحي...).

٢.قال الشيخ أبو علي الحائري في منتهى المقال: ثقة، عالم، عرّيف، وفقيه فاضل غطريف، جليل القدر، وحيد العصر، حسن الخُلق، عظيم الحلم...).

٣.قال السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة: (المحقق المؤسّس، الذي ملأ الدنيا ذكره، وعمّ العالم فضله، تخرّج عليه علماء أعلام، وفقهاء عظام، صاروا من أكابر المراجع في الإسلام...).

مؤلفاته

نذكر منها ما يلي:

١. رسالة في تثليث التسبيحات الأربع في الأخيرتين.
٢.رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل.
٣.رسالة في تحقيق حجّية مفهوم الموافقة.
٤.رسالة في حجّية الشهرة، وفاقاً للشهيد.
٥.حواشي متفرّقة على الحدائق الناضرة.
٦.رسالة في الإجماع والاستصحاب.
٧.حاشية على كتاب معالم الأُصول.
٨.رسالة في الأُصول الخمس.
٩.شرح المفاتيح.

وفاته

توفّي السيّد الطباطبائي قدس سره عام ١٢٣١ هـ ودفن بجوار مرقد الإمام الحسين عليه السلام، بمدينة كربلاء المقدّسة في العراق.

وقد ذكر المترجمون له والرجاليون من المدح والثناء ما يليق بمقامه الشريف. وقد جاء في تأريخ وفاته: بموت عليّ مات علم محمد وهكذا طوى عمره الشريف عن عمر ناهز الأربعين سنه قضاها في تحصيل العلوم وتحقيقها حشره الله مع أجداده الطاهرين (محمد وآله المعصومين الطاهرين).

مقالة

دفع تهمة الضلالة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قراءة تحليلية في سورة الضحى

بقلم د. سيروان الجنابي

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

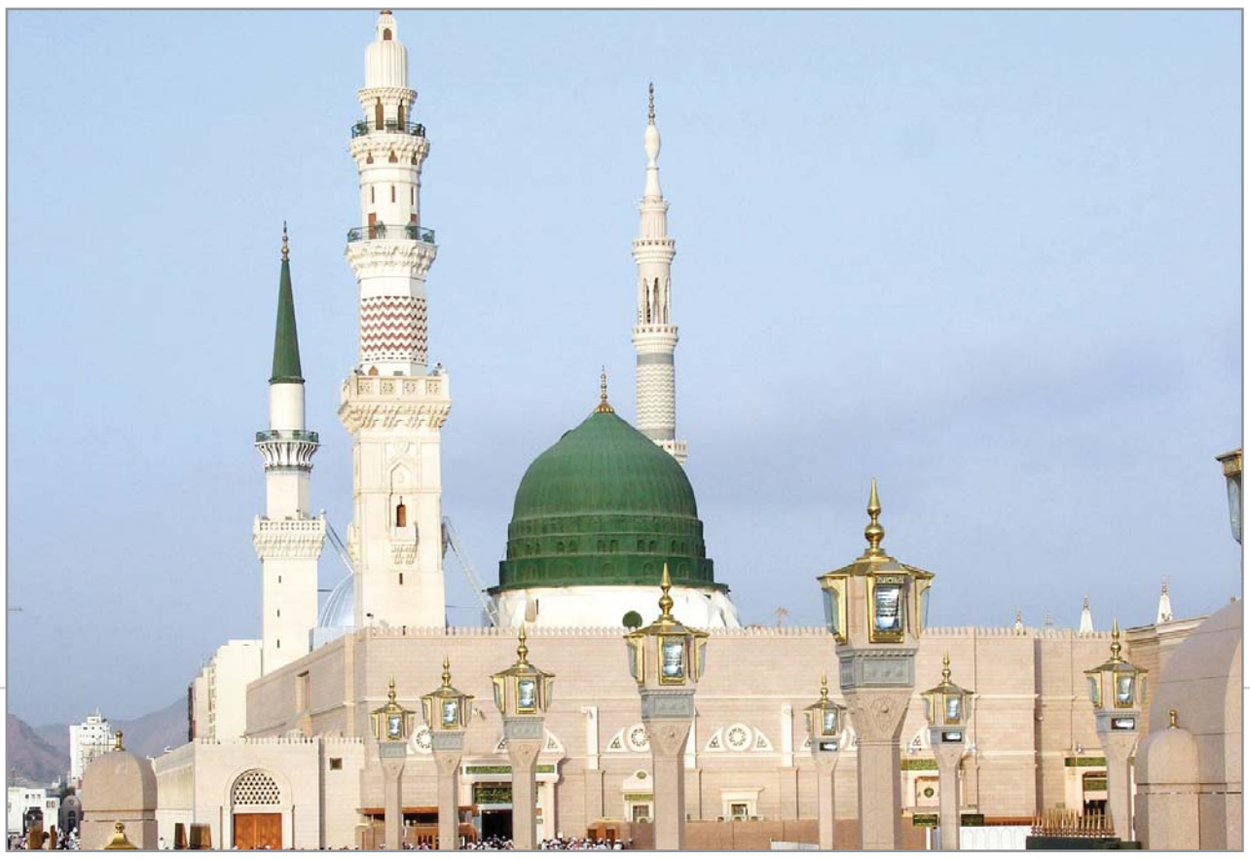

ثمة خلاف طويل وجدل واسع في مسألة تملُّك الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لماهية العصمة؛ إذ وقف الأمر فيها بين مؤيدٍ لها ومثبتٍ وبين رافضٍ لها ومنكرٍ لأصلها؛ فمنهم من قرر العصمة له في لحظة تلقيه الوحي وابلاغه الى الناس فحسب، فالعصمة والحال هذه وقتية مرهونة بايصال وحي السماء الى البشرية لا غير، وفريق اخر نفى وجود العصمة البتة للرسول فهو غير معصوم في جميع احواله، ومذهب ثالث يرى ان العصمة تلتحق بالرسول بعد بعثته اما عصر ما قبل البعثة للرسول فهو مجرد فيه من العصمة بعيد عنها على حين رأى رابع بان الرسول معصوم منذ لحظة نزوله على الارض وحتى رفعه منها.

ومن أجل تمحيص الحقيقة والسعي وراء استكشاف الحق واثبات العقيدة الأصل في هذا النطاق الفكري سنلجأ إلى قراءة عصمة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم على وفق المقررات الخطابية التي أثبتها النص القرآني نفسه؛ فإذا كان هذا النص المعجز يمثل العامل الحسم بين المتردد فيه والمقطوع بأمره وينظر إليه على أنَّه المنطق الفصل في تحديد المعتقد من انتفائه؛ فإنَّه يمكن القول إنَّ عملية إثبات عقيدة العصمة للرسول الأعظم من طيات النص المعجز؛ ستعد - والحال هذه- وثيقةً سماويةً قاطعةً وشهادةً إلهيةً حقّةً لا ترقى إليها شائبة أو يدنو منها تردد أو شك البتة.

وتأسيساً على هذا المنطلق سيُقرأ نص سورة الضحى على وفق عامل الإثبات والتثبيت لعصمة الرسول والرد على الشُّبهات التي أثيرت على مسألة الإقرار بتلك العصمة وذلك فيما يخص نسبة (الضلالة) إليه تحديداً؛ لأنَّ هذه الشُّبهة تعد من أقوى التهم التي وجِّهت للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الإطلاق؛ إذ عَمَدَ معتنقو درء العصمة عن الرسول إلى اتباع حيثية التقاط دلالة ضلالة الرسول الكريم من سورة الضحى، وقراءتها على أنَّها إشارة تدل على ضعف القول بعصمته؛

على حين أنَّ المنطق الذي سنُحَكِّمُهُ في هذا النطاق ينصُّ على إقرار هذه العصمة وذلك باتباع حيثية منهج تحليل الخطاب القرآني نفسه التي وردت فيه الشُّبهة على الرسول أو ما يُتَصوَّرُ بأنَّها شُبهة والرد على المعترض من ذات النص المُتَخَذِ وسيلة لنفي العصمة وبهذا سنقوم بعملية توظيف منهج القراءة المعكوسة لإثبات الغاية المنشودة.

من هنا سينطلق هذا الجهد العلمي لتحقيق منجز منشود يسعى إلى ترسيخ مبدأ العصمة للرسول الأعظم لننفتح -بعد التأسيس لهذا المنجز- بالقول بعصمة الأنبياء والرسل جميعاً، أما داعي اختيار إثبات العصمة للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم دون غيره فإنها تكمن في أمرين:

الأول: إنَّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعد خاتم الأنبياء وأشرفهم فكان إقرار العصمة إليه دون غيره ابتداءً يعد من باب الأولى على وفق المنطق العقلي؛ فضلاً عن أنَّ الرسول الأعظم كان من أغزر الأنبياء شُبهة على عصمته لكثره الأحداث التي عاشها والمخاضات التي مرَّ بها في حياته الرسالية ولكثرة الأعداء الذين تساندوا على إيقاف إرادة السماء وإقصاء المعجز عمَّن آمنَ به.

والثاني: يكمن في أنَّ إثبات العصمة لأي نبي ستعدُّ - بالضرورة - إثباتاً للعصمة لسائر الأنبياء من دون استثناء لأنَّهم يقفون من منظور السماء على مسافة واحدة من حيث المكانة والتعامل والتسديد الإلهي؛ فما يجري على الواحد يجري على الكل بحكم تساوي مناط التكليف واتفاق نطاق المهمة والغاية المراد تحقيقها.

قراءة دلالية في نسبة الضلالة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إذا كان السائد في منطق مصنفات علوم القرآن والمتسالم عليه في مدونات التفسير القرآني إنَّ سورة الضحى قد نزلت تسلية لنفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فان هذا يعني باللزوم أنَّ كلَّ آية فيها قد بنيت صياغة ومضمونا على أساس توجيه الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه؛ إذ روي في داعي نزول هذه السورة الكريمة بان مرد النزول يؤول إلى أن امرأة من المشركين أقبلت على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد أنْ أُرجئ عنه الوحي مدةً ليست بالقصيرة، فقالت له: يا محمد؛ ما أرى شيطانَكَ إلاّ قد قلاك، فنستشف من هذه الرواية دلالة تؤكد أنَّ الآيات مُساقة للردِّ على هذا الزعم ولتوثيق اطمئنان الرسول بمساندة السماء له من جهة وأحقية دعواه من جهة أخرى.

إذا كانت النصوص في هذا الموضع من التعبير القرآني كلها تتمحور على مُخاطبة الرسول تنصيصاً من أجل إشاعة سمة السلامة والراحة في نفسه فإنَّه من المحال بمكان أنْ نرتضي مقولة نسبة الضلالة إلى الرسول في قوله تعالى من سورة الضحى (وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى) بغاية إخراجه من نطاق العصمة ووصمه بجريرة الكفر التي تعد أكبر مثلبة يمكن أنْ تُلصَق بإنسان؛ حيث اتفق بعض المفسرين على أنَّ القول بالضلالة في هذا الموضع هو تنصيص على كفر الرسول قبل البعثة؛ إذ يعتقدون بـ(أنَّه كان كافراً في أول الأمر، ثم هداه اللهُ وجعله نبياً)، ومن الذين اعتنقوا هذا المنحى الكلبي إذ يقول: ((وجدك ضالاً) يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد) وقد وافقه على هذا السَّدي بلا تردد أو إعادة نظر.

إنَّ هذا التوجيه التفسيري لمفردة (الضلالة) في الآية الكريمة يمكن أن يُقرَأ بحيثية تحليلة أخرى إذ نجد أنَّ دلالة الضلالة في هذا الموطن لا يراد منها دلالة الكفر كما حَسَبَ بعضُ المفسرينَ مما يفضي إلى القول بأنَّ دلالة سياق الآية ههنا يحمل دلالة التوبيخ؛ بل نرى أنَّ دلالة السياق المهيمنة على هذا النص القرآني إنّما هي المدح للرسول وهذا هو دأبُ مضامين الآيات جميعاً في هذه السورة؛ ويعضد ذلك ما نُقِل عن الإمام الرضا عليه السلام؛ من أنَّ دلالة الضلالة في هذه الآية تعني (ضالاً في قوم لا يعرِفونَ فَضلَكَ؛ فهداهم الله إليك)إنَّ إعادة النظر في الآية على وفق مقولة الإمام يقدح في الذهن ملمحا دلاليا يمكن الاستناد عليه في تبرئة الرسول من تهمة الكفر؛ ذلك بأنَّ لفظة (ضالاً) في الآية قد أعطت معنى اسم المفعول لا اسم الفاعل، وان هذه اللفظة مما تشترك فيها الدلالتان:

دلالة المفعول ودلالة الفاعل، فتقول: رأيتُ رجلاً ضالاً عن الطريق؛ أي وقع عليه الضلال، فهو اسم مفعول، وتقول: رأيتُ رجلاً ضالاً للناس؛ أي يقوم بضلالة الناس فهو مُضِلٌ، وبهذا ينكشف المعنى الذي يدل على أن قوم الرسول هم الضالون حقيقة، وان الرسول هو المُضَيَّع فيهم، فهداهم الله إليه فكان وحيداً لا أحد معه على دينه ولولا الله تعالى ما التجأ إليه الخلق مهتدين بالغاية؛ وهذا القول يؤدي الى تقوية معنى إكرامه تعالى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبلسمة نفسه وفي هذا مدح واضح له صلى الله عليه وآله وسلم.

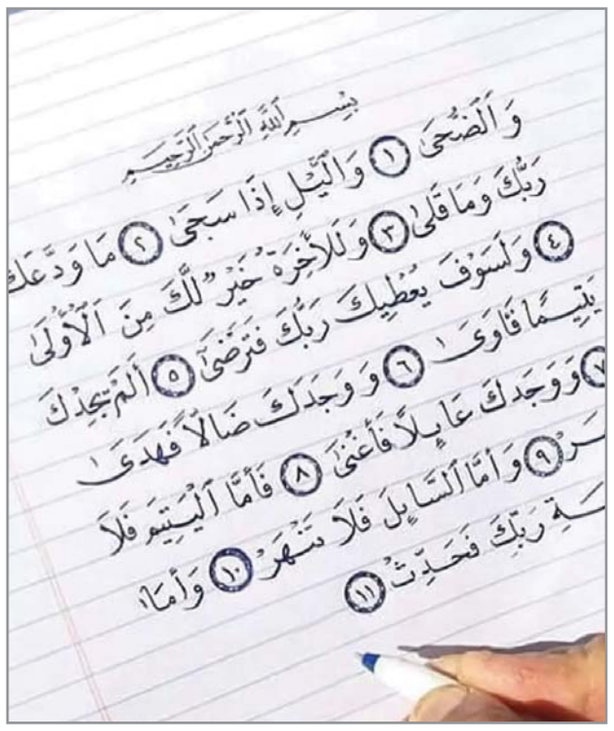

ويؤيد دلالة تنزيه الرسول ومدحه في هذه الآية سمةٌ خطابيةٌ غايةٌ في الأهمية ألا وهي سمة الحذف في الآية؛ إذ نجد أنَّ الفعل (هدى) قد ورد محذوف المتعلق مما يفضي إلى عدم نسبته إلى الرسول الأعظم تحديداً؛ ذلك بان الحذف يورث الإبهام الذي يؤول إلى القول بوجود الإطلاق في النص؛ وتوظيف دلالة الإطلاق في حذف متعلق الفعل (هدى) هو الأنسب في نطاق إثبات نسبة النزاهة للرسول والأرسخ في بيان براءته صلى الله عليه وآله وسلم؛ ذلك بأنه سبحانه لو كان قاصداً من الضلالة الرسول نفسه وانه قد هداه إلى رشده لأثبت كاف الخطاب في قوله (هدى) فتغدو العبارة (ووجدك ضالا فهداك)؛ بيد أنَّ وقوع الحذف دلَّ على إبعاد هذه الشُّبهة عن الرسول وهذا يسوغ القول بان المراد هو ضلالة الناس عنه وهداية الله إليهم به؛ بل نجد أنَّ الحذف لم يتوقف عند هذا الحد وإنما نلحظه قد امتد على سائر الآيات الأخرى في السورة، وقد سيق كله موظفاً من اجل دفع نسبة الإساءة إلى الرسول من كونه ضالا حيث ترد الآيات الثلاث ابتداءً وهي قوله تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى) متضافرةً لتدعم كل منها الأخرى، فتشكل روافد دلالية تصبُّ في الحيز الدلالي الأكبر الذي يهيمن على السورة كلها باستحكام وهو تنزيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتوثيق العصمة له باستعمال حيثية مدحه وتسلية نفسه، ذلك بان تسديد الله للرسول يبعده عن الذنب مطلقا فمازال الرسول معتقدا اعتقادا راسخا بالله تعالى وبرسالته فان هذا يمنحه الداعي إلى العصمة ألا هو الحكمة المانعة من المعصية بالضرورة.

فعند التأمل نجد أنَّ الخطاب القرآني في هذه الآيات الثلاث يُستَهلُ باقتران أسلوب الاستفهام بالنفي، والاستفهام في هذا المقام لا يتضمن إشارة إلى جهل المخاطب أو أنَّه في صدد انتظار الإجابة؛ ذلك بأنَّ الحيثية الاستفهامية لم تُوظَّف في هذا النص لأداء الدلالة الحقيقية التي وُضِعَتْ لها أساساً في اللغة، فنجدها قد انزاحت عن دلالة الأصل كما هي الحال للنفي الذي يليها، إذ أُفرِغ من محتواه الدلالي الأساس أيضاً، وان وروده مقترناً بالاستفهام هو الذي سبب إقصاء كل أسلوب عن وظيفته، وباقترانهما معاً وُلِدَتْ دلالةٌ جديدةٌ هي الاستفهامُ التقريري الذي حَوَّل النفي إلى الإثبات والاستفهام إلى علم، والدليل أنَّه عَطَفَ نسقاً على هذه الآية فعلين مثبتين من غير استفهام، وبهذا نلحظ أنَّ نمطية الأسلوب اللغوي لهذا التركيب ابلغ تأثيراً في نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأمثل حضوراً في ذهنه وأكثر إيماناً بأنَّه تعالى سيعضده على سبيل الدوام وسيقلده الحكمة لشدة إيمانه؛ لأنَّ مقتضى التركيب قد جاء ليكشف عن جملة من الأمور لا لإنكار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها؛ بل لأنَّها تمثل تجارب حياتية ملموسة عنده صلى الله عليه وآله وسلم فكأنَّه سبحانه يبتغي منه تقريراً بذلك ليتأكد في نفسه الشريفة أنَّ الله تعالى هو السند والعضد له في الأزمنة كافة، فجاءت الآيات هذه برمَّتها صفة تأكيدية لتُتابع الآيات السابقة عليهن وترسخ ما دارت عليه من معنى وسيظهر أنَّ الآيات اللاحقة تسير بالمسار نفسه.

فحينما نقف على المحذوف في نهاية كل من الآيات الثلاث المذكورة وهو المفعول به للفعل (آوى، وهدى، وأغنى) نكتشف أنَّ علَّة الحذف في هذه الأفعال مُنشأة على دعامتين:

الأولى (نفسية) لأنَّ في الحذف إكراماً لنفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدم ذكر التفضل عليه صراحةً من قِبله تعالى؛ وذلك فيما لو سلَّمنا بوقوع هذه الأفعال على الرسول تحديداً باستثناء الفعل (هدى)؛ إذ لا يمكن البتة أنْ يُذكِّرَ اللهُ سبحانه رسولَهُ صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّه كان كافراً ثم هداه تعالى إلى الإيمان لأنَّ هذا يتنافى والقول بتفضيله وإكرامه وتسلية نفسه الزكية؛ ذلك بانَّ السائد في الخطاب التكريمي هو اتسام الكلام بسمة إظهار الفضل الذي يستحقه من المتكلم من جهة وعدم المساس بالمُتحدِّث عنه كإشعاره بالتقصير أو المنقصة من جهة أخرى وإلا خَرَجَ الخطاب من نطاق التكريم ودَخَلَ في حيز التوبيخ والتنكيل؛ بهذا نقول إنَّ الحال في الآية لا يوافق القول بدلالة الكفر للفظة (الضلالة) لأنَّ هذا القول أدخل في اتسام الخطاب بدلالة التوبيخ منه إلى القول باتسامه بدلالة التكريم والتفضيل والأفضلية له على غيره صلى الله عليه وآله وسلم.

والثانية (إدراكية) لإثارة العقل بحثاً عن الغاية المرادة من معنى الحذف، فقد يكون المقصود الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الفعلينِ (آوى، وأغنى)، وقد لا يُراد الرسول البتة؛ بل المراد أنَّ اللهَ آوى الناس وهداهم وأغناهم بك بناءً على مقولة الإطلاق من الحذف وهي الأولى اتفاقاً والدلالة السياقية المؤسَس عليها النص؛ فقد أُثر عن الإمام الرضا عليه السلام أنَّه قال في معنى لفظة (اليتيم) بأنَّها (تعني فرداً لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس إليك) وأغناهم بك لأنَّك تمثل الأنموذج الأسمى لما تبتغيه السماء من الإنسانية عقلاً ويقيناً وسلوكاً وبهذا فإنَّ الله تعالى يكفل هذه المضامين الثلاثة لمن أحبكَ ونهجَ سبيلك.

وعند النظر المتأمِّل في النصوص نجد ثمة واصلاً دلالياً معيناً بينهما من جهة وواصلاً عاماً يصلهما بصدارة السورة من جهة أخرى، فأما ما بينهما فنلحظ أنَّ اليتيم له حاجة إلى من يكفله إعانة وتربية، وأنَّ الضال يستهدي طالباً المساعدة للوصول إلى الطريق الصواب، وأنَّ العائل يفتقر إلى معين يحفظ ماء وجهه ويكفيه حاجته؛ وبهذا نرى أنَّ فكرة هذه النصوص تتمحور على معنى مؤداه طلب الإعانة من المُقتَدِر وحفظ نفس الإنسان من الذلة وإرشاده إلى الهداية، وهذا ما يريد سبحانه إقراره لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا ما اتَّصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الصفات الخلقية فلا يكون إلا حكيماً لأنَّ هذا النمط من الصفات الخلقية إنّما تصدر من الحكيم الذي يتَّسم بالعصمة ولا يؤتاها إلا ذو حظ عظيم.

يزاد على هذا أنَّ المعطى المعجمي للفظة (الضلالة) يسند الإقرار بمقولة الإمام الرضا(عليه السلام) التي أسندت الضلالة إلى الناس وان هذا المضمون هو الأحرى بالإتباع؛ إذ ورد في بطون المعجم العربي أنَّ من دلالات لفظة (الضلالة) هي الخفاء والتواري والغيبة عن الأعين، يقول الخليل: (وماءٌ ضَلَلٌ: يكون تحت الصَّخْرَةِ لا تُصيبُه الشمس)، ويقال (ضلَّ الشيءُ إذا خفيَ وغابَ عن الأعين)، بهذا يكون (الإنسان الضال هو الإنسان المخفي ذكره، المنسي اسمه، لا يعرفه إلاّ القليل من الناس، ولا يهتدي كثير منهم إليه، ولو كان هذا هو المقصود، يكون معناه أنَّه سبحانه رفع ذكره وعرفه بين الناس عندما كان خاملاً ذكره منسياً اسمه) وهذا هو معنى الضلالة المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآية؛ إذ المراد منه ليس ضلالة الرسول بمعنى عدم الهداية؛ بل المبتغى هو نسبة الضلالة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حيث لا يعرفه الناس ولم يهتدوا إليه إلا بتعريف الله إليه، فضلالة الرسول هو عدم معرفته من الناس وضلالة الناس هي عدم اهتدائهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه؛ من هنا تكون الضلالة (عدم الاهتداء) صادرة منهم لا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والرسول ضالٌّ فيهم من حيث عدم معرفتهم له، وسندُ هذه الوجهة الدلالية هو قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فرفع ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو هداية الناس إليه من بعد ما كانوا ضالين عنه؛ (وعلى هذا فالمقصود من (الهداية) هو هداية الناس إليه لا هدايته)(١٤) مطلقاً.

من هنا نستدل على أنَّ حيثية صياغة النسيج الخطابي للنص القرآني المزمع اتهام الرسول فيه بالضلالة تدل دلالة بيّنة على أنَّ الرسول بريء من هذا الاتهام سواء أكانت تلك الحيثية الخطابية تكمن في الطريقة البارعة لاستعمال المفردة أم في كيفية توظيف المقرر النحوي أو في الهيأة التركيبية التي يُساق عليها النص؛ ففي كلِّ وجهٍ صياغي لخطاب النص ثمة مكمن إسنادي يوصِل المتلقي إلى قناعة تامة للقول بعصمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بلا تردد أو شك في ذلك.

وبهذا نُرجِّحُ حمل دلالة لفظة (الضلالة) في الآية على اسم المفعول دون اسم الفاعل ليكون المراد أنَّ الناس هي التي ضلَّت عن الرسول تأسيساً على مقولة الإمام الرضا عليه السلام إذ إنَّ توجيهه الدلالي هذا يعد تبرئة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الضلالة البتة ولا ضلالة في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البتة.

المصدر: مجلة ينابيع، العدد

مقالة

الأناجيل والبشارة بنبوة نبي الخاتم صلى الله عليه وآله

آية الله الشيخ جعفر السبحاني

أخبر القرآن الكريم بأنّ المسيح يوم بعث إلى بني إسرائيل بشّر بالنبي الخاتم باسمه أحمد وقال:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾

ثمّ إنّ رجال الكنائس أمام هذه البشارة على قولين:

تارة يقولون: إنّ المسيح بشّر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد وهذا لا ينطبق على نبي الإسلام، فإنّ اسمه محمّد بنص القرآن واتّفاق المسلمين.

وأُخرى ينكرون أصل وجود البشارة في الأناجيل، وإنّه لم يرد أيّ تبشير بهذا.

والوجه الأوّل من السقوط والرداءة بمرحلة لا يستحقّ الجواب، فقد عرفت أنّ القرآن كما أسماه محمّداً سمّاه أحمد، وأيضاً كما عرفت انّ الرسول صلى الله عليه وآله يدعى منذ نعومة أظفاره بكلا الاسمين وقد أطراه الشعراء وفي مقدّمتهم عمّه البارّ في قصائدهم واسموه بأحمد.

والمهم هو القول الثاني، ولكن إنكاره لجاج وعناد، وهنا نذكر مورداً واحداً:

قد وردت هذه البشارة في أبواب إنجيل يوحنّا ونحن ننقلها عن التراجم العربية المطبوعة عام ١٨٢١ م وسنة ١٨٣١ م وسنة ١٨٤٤ م في مدينة «لندن» فالباب الرابع عشر من إنجيل يوحنّا يتضمّن العبارات التالية:

١. «إنْ كُنْتُم تُحِبُّوني فَاحفَظُوا وَصَايَاي».

٢. «وأنَا أَطْلبُ مِنَ الأبِ فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معُكمْ إلى الأبد».

٣. «روح الحَقّ الَّذي لَنْ يطيق العالم أن يقبله لأنّه ليس يراه ولا يعرفه وأنتم تعرفونه لأنّه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم».

٤. «والفارقليط، روح القدس، الذي يرسله الأب بإسمي هو يعلّمكم كل شيء وهو يذكّركم كلّما قلته لكم».

٥. «والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون».

وفي الباب الخامس عشر من إنجيل يوحنّا هكذا:

١. «إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب، روح الحقّ الذي من الأب ينبثق هو يشهد لأجلي».

٢. «وأنتم تشهدون لأنّكم معي من الإبتداء».

وفي الباب السادس عشر من انجيل يوحنّا جاءت العبارات التالية:

١. «لكنّي أقول لكم الحق انّه خير لكم أن أنطلق لأنّي إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم».

٢. «فاذا جاء ذلك فهو يوبّخ العالم على خطيّة وعلى برّ وعلى حكم».

٣. «أمّا على الخطية فلأنّهم لم يؤمنوا بي».

٤. «وأمّا على البر فلانّي منطلق إلى الأب ولستم تروني بعد».

٥. «وأمّا على الحكم فإنّ اركون هذا العالم قدّدين».

٦. «و إنّ لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنّكم لستم تطيقون حمله الآن».

٧. «وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلّمكم جميع الحق لأنّه ليس ينطق من عنده بل يتكلّم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي».

٨. «وهو يمجّدني لأنّه يأخذ ممّا هو لي ويخبركم».

٩. «جميع ما هو للأب فهو لي فمن أجل هذا قلت إنّ ممّا هو لي يأخذ ويخبركم».

قبل تبيين الاستدلال على دلالة هذه الجمل على البشارة بأحمد، نقدّم ذكر أمرين.

١. أجمع المؤرّخون على أنّ الأناجيل الثلاثة غير «متّي» كتبت من أوّل يومها باللّغة اليونانيّة، وأمّا إنجيل متّي فكان عبرياً من أوّل إنشائه، وعلى هذا فالمسيح بشّر بما بشر. في إنجيل يوحنّا. باللّغة العبرية، وإنّما نقله إلى اليونانيّة كاتب الإنجيل الرابع يوحنّا وكان عليه التحفّظ على اللفظ الذي تكلّم به المسيح في مورد المبشّر به، لأنّ القاعدة الصحيحة عدم تغيير الاعلام والإتيان بنصّها الأصلي لا ترجمة معناه، ولكن «يوحنّا» لم يراجع هذا الأصل وترجمه إلى اليونانيّة، فضاع لفظه الأصلي الذي تكلّم به المسيح وبقيت ترجمته، فاللفظ العبراني الذي قاله عيسى عليه السلام مفقود، واللفظ اليوناني الموجود ترجمة.

وفي غبّ ذلك حصل الاختلاف في المراد منه، ثمّ مترجموا العربيّة عرّبوا اللّفظ اليوناني بـ «فارقليط».

وأمّا اللفظ اليوناني الذي وضعه الكاتب يوحنّا مكان اللفظ العبري، فهو مردّد بين كونه «باراكلي طوس» الذي هو بمعنى المُعزّي والمسلّي والمعين والوكيل، أو «بيركلوطوس» الذي هو بمعنى المحمود الذي يرادف أحمد، ولأجل تقارب الكلمتين في الكتابة، والتلفّظ، والسماع، حصل التردّد في المبشّر به، ومفسّروا إنجيل يوحنّا يصرّون على الأوّل، وادعوا أنّ المراد منه هو روح القدس وانّه نزل على الحواريين في اليوم الخمسين بعد فقد المسيح كما ذكر في كتاب «أعمال الرسل».

وإليك نصّه: «لمّا حضر يوم الخمسين (بعد عروج المسيح أو صلبه على زعمهم) كان الجميع معها بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنّها من نار، واستقرّت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من روح القدس وابتدؤا يتكلّمون بألسنة أُخرى، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا».

ولكن القرائن المفيدة للقطع واليقين تفيد انّ المراد منه هو الأوّل، وانّ المسيح بصدد التبشير عن ظهور نبي في مستقبل الأيّام وإليك بيان هذه القرائن:

١. إنّ المسيح قال: «إن كنتم تحبّوني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر».

إنّ هذا الخطاب يناسب أن يكون المبشّر به نبيّاً من الأنبياء، إذ لو كان «فارقليط» عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كان هناك حاجة إلى هذا التأكيد، لأنّ تأثيره في القلوب تأثير تكويني. كما عرفت من النّص. لا يمكن لأحد التخلّف عنه ولا يبقى في القلوب معه شك، وهذا بخلاف تأثير النبي فإنّه يؤثّر ببيانه وكلامه في القلوب، وهو يختلف حسب اختلاف طبائع المخالفين واستعدادهم، ولأجل ذلك أصرّ على الإيمان به في بعض جمله وهو:

«والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى إذا كان تؤمنون به».

وقد عرفت ممّا نقلناه من كتاب أعمال الرسل انّ تأثير روح القدس كان تأثيراً تكوينيّاً غير خاضع لإرادة الإنسان.

٢. إنّه وصف المبشّر به بلفظ «آخر» وهذا لا يناسب كون المبشّر به روح القدس لعدم تعدّده واتّحاده بالأب والابن اتّحاداً حقيقيّاً، فلا يقال في حقّه «فارقليط» آخر، بخلاف الأنبياء فإنّهم يجيئون واحداً بعد الآخر في فترة بعد فترة.

٣. إنّ المسيح قال: «هو يذكّركم كلّما قلته لكم».

إنّ من البعيد نسيان الحواريين تعاليم المسيح في مدة لا تزيد على خمسين يوماً حتى يذكّرهم روح القدس، وهذا بخلاف ما إذا قلنا بأنّ المراد هو النبي الخاتم الذي ظهر بعد مضي قرون ستّة، وقد لعبت الأهواء بتعاليم الأنبياء وحرّفت الكنائس والرهبان ما جاء به المسيح عليه السلام.

٤. إنّ المسيح قال: «هو يشهد لأجلي» فلو كان المراد هو نزول الروح يوم الدار بعد خمسين يوماً كانت هذه الشهادة لغواً لعدم حاجة التلاميذ إلى شهادته لأنّهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة، والمنكرون للمسيح لم تحضرهم تلك الروح، وهذا بخلاف ما إذا أُريد منه النبي المبشّر به فإنّ نبيّنا شهد للمسيح وصدّقه ونزّهه عن ادعاء الالوهيّة كما أبرأ أُمّه من تهمة الزنا، وهذا واضح لمن تدبّر آيات الذكر الحكيم.

٥. إنّ المسيح قال: «إن لم أنطلق، لم يأتكم الفارقليط، فأمّا إن انطلقت أرسلته إليكم».

فعلّق مجيئه بذهاب نفسه مع أنّ مجيء الروح غير معلّق على ذهاب المسيح بشهادة أنّه نزل على الحواريين في حضور المسيح، لمّا أرسلهم إلى الأطراف والأكناف فنزوله ليس مشروط بذهابه، فلا بد أن يكون المراد منه شخص يكون مجيئه موقوفاً على ذهاب المسيح كما هو الحال في النبي الخاتم لأنّه جاء بعد ذهاب المسيح، وكان مجيئه موقوفاً على ذهابه لأنّ وجود رسولين ذوي شريعتين مستقلّتين في زمان واحد غير جائز، بخلاف ما إذا كان الآخر متبعاً لشريعة الأوّل أو يكون كل من الرسل متبعاً لشريعة واحدة فيجوز في هذه الصورة وجود اثنين أو أكثر في زمان واحد ومكان واحد كما ثبت وجودهم بين زمان «الكليم» و «المسيح».

٦. قال المسيح: «إنّه يوبّخ العالم».

وهذا لاينطبق إلّا على نبي الإسلام لأنّه وبّخ العالم من المشركين واليهود والنصارى توبيخاً لا يشك فيه إلّا معاند متكبّر، بخلاف الروح النازل يوم الدار، إذ لم يكن هناك وجه للتوبيخ لأنّه لم يكن هناك مخالف للمنهج الصحيح.

٧. قال المسيح:

«إنّ لي كلاماً كثيراً أقوله لكم ولكنّكم لستم تطيقون حمله الآن».

هذا يعرب من أنّ فارقليط يأتي بأحكام لم يكونوا يطيقونها زمان تكلّم المسيح، هذا لا ينطبق على نزول الروح يوم الدار، لأنّه ما زاد حكماً على أحكام المسيح وأي أمر حصل لهم أزيد من أقواله إلى زمان صعوده؟

نعم بعد نزول هذا الروح أسقطوا جميع أحكام التوراة ما عدا بعض الأحكام العشرة المذكورة في الباب العشرين من سفر الخروج وأحلّوا جميع المحرّمات.

وهذا بخلاف ما إذا أُريد نبي يزيد في شريعته أحكاماً إلى أحكام موروثة من المسيح ويثقل حملها على المكلّفين، ضعفاء الإيمان.

٨. إنّ المسيح قال: «لأنّه ليس ينطق من عنده بل يتكلّم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتي».

هذا يعرب من أنّ فارقليط سيواجه التكذيب فسوف يكذّبه بنو اسرائيل فأراد دعم دعوته وانّه صادق في كل ما يقول ولا مجال لمظنّة التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار، على أنّ الروح أحد الثلاثة وبوجهٍ نفسه سبحانه، فلا معنى لقوله بل يتكلّم بما يسمع، وهذا بخلاف أن يراد منه نبي من الأنبياء الذين لا يتكلّمون إلّا بوحي منه، قال سبحانه:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم/ ٣و٤).

هذه القرائن وغيرها ممّا يظهر للقارئ بعد التدبّر فيما ورد في الإصحاحات الثلاث (الرابع عشر، الخامس عشر، والسادس عشر)، تفيد القطع واليقين بأن المبشّر به هو نبي لا غير.

وممّا يؤيد ذلك انّ المراد من «الفارقليط» هو النبي هو ما ذكره مؤرّخوا المسيحيين أنّ بعض الناس قبل ظهور النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ادّعى أنّه هو الفارقليط الموعود قالوا: إنّ «منتنس» المسيحي الذي كان في القرن الثاني من الميلاد وكان مرتاضاً شديداً ادّعى في قرب سنة ١٧٧ من الميلاد أنّه هو الفارقليط الموعود الذي وعد بمجيئه عيسى عليه السلام وتبعه أُناس كثير وهذا يعرب عن أنّ المتبادر من الفارقليط في القرون الأُولى المسيحية هو النبي المبشّر به.

وعن صاحب «لب التواريخ»: إنّ اليهود والمسيحيين من معاصري محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا منتظرين لنبي وكان هذا سبباً لرجوع عدّة من المسيحيين إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي ادّعى انّه هو ذاك المنتظر.

المصدر: مقتبس من كتاب: مفاهيم القرآن / المجلّد: ٧ / الصفحة: ٦٨-٧٤

تعريف بكتاب حول الوحدة الإسلامية

الوحدة الإسلاميّة في مواجهة التحديات؛ النّجف الأشرف نموذجاً

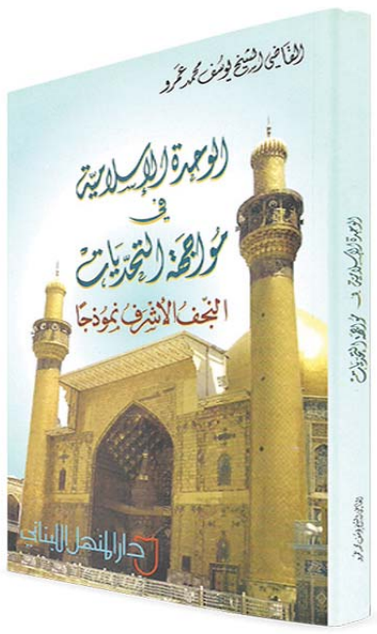

الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدّيات (النجف الأشرف نموذجاً) كتاب من تصنيف القاضي الشيخ يوسف محمّد عمرو، نشرته دار المنهل اللبناني ببيروت، ويقع في ٢٤٧ صفحة.

والمؤلّف أحد تلامذة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر المتوفّى سنة ١٤٠٠ هـ، وقد أهدى الكتاب إلى روح أُستاذه.

وذكر أنّ اسم الكتاب كان سابقاً «الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدّيات»، وقد كان مجموعة مقالات كتبت خلال أربعة عشر عاماً في عدّة مجلّات صادرة في بيروت، غير أنّ ما حدث في العراق كان الهاجس الأكبر والهمّ الأعظم لكلّ مسلم غيور على الوحدة الإسلامية، فكانت المقالات الحالية للمؤلّف حول النجف الأشرف وماضيه وحاضره ومستقبله، ومواقف مراجعه الأعلام من الوحدة الإسلامية، ومحاربتهم للغزو الثقافي والانحلال الأخلاقي لقوّات التحالف الغازية لأرض الرافدين.

والكتاب يقع في ثلاثة حقول: النجف الأشرف، تأمّلات وأفكار وحدوية مشفوعة بذكر بعض أعلام الوحدة الإسلامية في لبنان، الفكر الوحدوي عند الإمامين الخميني والخامنئي.

يقول المؤلف

وفقني الله تعالى لإصدار كتاب تحت هذا العنوان عن دار المنهل اللبنانيّ . بيروت. يتكلّم عن الإسلام والوحدة الإسلاميّة في مواجهة تحديات دول الإستكبار العالميّ والحركة الصهيونيّة في فلسطين واللوبيات الصهيونيّة في الولايات المتحدة الأمريكيّة وكندا والدول الأوروبيّة، ومواجهة ذلك بإتخاذ النّجف الأشرف ومراجعها الأعلام خلال ألف عام كأنموذج طيّب طاهر. من أيام مؤسس الحوزة العلميّة الإمام أبي جعفر مُحمّد بن الحسن الطوسي، عندما هاجر إليها مع عائلته وبعض طلابه في عام ٤٤٨هـ. الموافق لعام ١٠٥٦م، هرباً من الفتنة الطائفيّة والحرب التي أعلنها الأتراك السلاجقة في بغداد على الشيعة بعد أن أحرقوا مكتبته ومنزله وأحياء الشيعة وبيوتهم في بغداد ولغاية أيامنا، أي أيام الإمام المجدد السيّد علي الحسينيّ السيستانيّ دام ظله. حيث واجه سماحته حملات التكفير والتطرّف التي قام بها بعض الجهلة والغوغائيين بإسم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة. وبردّ الحجر من حيث جاء مع مراعاة أن يكون الرّد على التكفيريين فقط دون سواهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. الإسراء، آية ١٥.

ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ سورة فصلت، الآية ٣٤-٣٥.

آل كاشف الغطاء والوحدة الإسلاميّة

في هذا الكتاب كتبت أيضاً عن آل كاشف الغطاء، حيث نبغ منهم أكثر من خمسة وعشرين مُجتهداً من مراجعنا الأعلام خلال القرون الهجريّة الثلاثة الأخيرة وهي: الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، ودورهم في الوحدة الإسلاميّة والوقوف في وجه الفتن الطائفيّة والمذهبيّة التي كانت تعصف بالعراق والعالم الإسلاميّ، وأعظمهم كان جدّهم الأكبر الإمام الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر المالكي النّجفي المشهور بكاشف الغطاء نسبة إلى كتابه الفقهي الكبير (كشف الغطاء). والمتوفى سنة ١٢٢٧هـ. الموافق لسنة ١٨١٢م. وقد جاء في ترجمته ما يلي:« وكان مقامه المرموق مؤثراً في تقريب السُنّة والشيعة في العراق وتركيا وايران، وكان أمراء آل عثمان يرمقونه بعين التعظيم والإكبار، وكان مُطاعاً مُعظّماً محبوباً، مراعى الجانب والقبول التام لدى الدولتين العثمانيّة والإيرانيّة. في عام ١٢٢١هـ. اعتدى علي باشا والي بغداد على ايران وَجنَّد ثلاثين ألفاً بقيادة ابن أخيه سليمان باشا كهيا الكرجي الرومي فتجاوز بجيوشه من خانقين إلى شهرزور ومنها إلى بحيرة مريوان، فتلاقوا هناك واشتعلت نيران الحرب بينهما حتى انكسر عسكر العثمانيين وانهزم إلى حدود الموصل وبغداد عن ثلاثة آلاف قتيل، وأكثر منهم أسيراً وفيهم القائد كهيا المذكور.

فالتجأ علي باشا والي بغداد إلى شيخ الجعفريّة الشيخ جعفر النجفيّ، فقبل الشيخ التماسه وذهب إلى محمد علي ميرزا محافظ منطقتي كردستان وكرمنشاه شفيعاً للأسرى فقبل شفاعته فأطلقهم جميعاً ما عدا كهيا القائد وبعثه مُقيداً إلى السلطان فتحعلي شاه القاجاري. فأمر السلطان بحفظه وفك قيده، إلى أن تهيّأ الشيخ للسفر إلى طهران فوصل إلى السلطان مُكرّماً مقبول الشفاعة فأخذه معه ورجع به إلى بغداد». وكان خاتمة من نبغ من هذا البيت الكريم، الإمام المصلح الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣هـ. الموافق لسنة ١٩٥٣م. والحديث عن هذا الإمام ومواقفه في تأييد الدولة العثمانيّة ضد الجيوش البريطانيّة والحلفاء في الحرب العالميّة الأولى وإصدار الفتوى مع سائر مراجع النّجف الأشرف بوجوب محاربة الجيوش الإستعماريّة الزاحفة إلى العراق عندما دخلت البصرة وجنوب العراق، وكذلك مواقفه المشهورة في ثورة ١٩٢٠م. العراقيّة ضد الإستعمار البريطاني. وأمّا مواقفه في مؤتمر القدس عام ١٩٣١م. وعن لقاءاته مع علماء السُنّة في بغداد، ودمشق، والقاهرة، وبيروت، والهند وباكستان وغيرها فمعروفة ومشهورة. وتحتاج إلى تصنيف كتاب خاص بها.

خاتمة الحديث

والآخرون من مراجع النّجف الأشرف الّذين تكلّمت عنهم، كانوا خيرَ مُمثل لمؤسسي الحوزة العلميّة في النّجف الأشرف، الإمام الطوسي والإمام كاشف الغطاء وهم: الإمام السيّد محسن الطباطبائي الحكيم، والإمام السيّد أبو القاسم الموسويّ الخوئي، والإمام الشهيد السعيد السيّد محمد باقر الصدر وابن عمه آية الله الشهيد السيّد محمد الصدر. وغيرهم من مراجعنا الأعلام.

كما أنّ مراجع الشيعة الإماميّة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية وفي لبنان قد نهلوا من حوزة النّجف الأشرف ودرَّسوا بها وتخلّقوا بأخلاقها واستناروا بآرائها وكان أعظمهم الإمام السيّد روح الله الموسويّ الخميني مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة في ايران، وخليفته الإمام السيّد علي الحسينيّ الخامنئي، وكذلك القول عن مراجع الشيعة الإماميّة في لبنان كالإمامين السيّد محسن الأمين والسيّد عبد الحسين شرف الدين اللّذين حاربا الإستعمار الفرنسي ونفوذه في لبنان وسوريا وكذلك العلماء القادة كالمرجع الدينيّ العلاّمة السيّد محمد حسين فضل الله، والإمام السيد موسى الصدر، وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين ودورهم في الوقوف ضد الحرب الأهليّة في لبنان والمذهبيّة وتأييد الإنتفاضة الفلسطينيّة وسعيهم الدائم للوحدة الإسلاميّة.

وبعد، فخير مثال للنّجف الأشرف ودورها في المحافظة على الوحدة الإسلاميّة والوطنيّة في العراق والمحافظة على مكونات الشعب العراقي من مسيحيين وصابئة وغيرهم، هو الإمام السيّد عليّ الحسينيّ السيستانيّ ومواقفه المشهورة في الحفاظ على وجود المسلمين السُنّة وأئمتهم في محافظات الجنوب والوسط، وهم أكثر من مليون مسلم وحرّم الإعتداء عليهم. وحرَّم على الشيعة في المحافظات المختلطة الثأر والإنتقام طالباً من السُنّة والشيعة وزعمائهم محاربة الفساد المستشري في مؤسسات الدولة العراقيّة والفَقر والجهل في المجتمع العراقي، وأمرهم جميعاً بتقوى الله تعالى والرجوع إلى القرآن الكريم والسُنّة الشريفة والإعتصام بحبل الله تعالى ومقاطعة البضائع الإسرائيليّة التي أدخلها الأمريكان إلى العراق. والإهتمام بالجاليات العراقيّة في العالم وتحصينهم ببناء مساجد ومؤسسات تربويّة لهم تمنعهم من الذوبان والضياع في المجتمعات غير الإسلاميّة.

وبعد هذا وذاك، نطلب إلى المرجعيات الكبرى والمؤسسات الإسلاميّة الكبرى في العالم الإسلاميّ، الإستفادة من سيرة وهدي مراجع النّجف الأعلام في الوحدة الإسلاميّة، محاربة التعصّب والتطرّف وفتح أبواب الإجتهاد في الفقه والأصول وفق القواعد الشرعيّة والعقليّة المعروفة ومحاربة الرشوة والفساد.

ونخصُّ بالذكر منهم الإمام السيّد عليّ الحسينيّ السيستاني دام ظله، وسيّدنا الأستاذ الإمام السيّد محمد سعيد الطباطبائيّ الحكيم دام ظله.

وكذلك الإقتداء بتجمع العلماء المسلمين من السُنّة والشيعة في لبنان، ومواقفهم النبيلة والتاريخيّة تجاه الإجتياح والنفوذ الصهيوني للبنان، ولسياسة الإستسلام منذ عام ١٩٨٢م. ولغاية أيامنا هذه. حيث جمع هذا التجمع في رحابه أكثر من مائتي عالم من السُنّة والشيعة من أبناء جميع المحافظات اللبنانيّة. يؤمنون ويسعون دائماً لإصلاح ذات البين.

المصدر: مجلة إطلالة

مقالة/ الجزء الأول

الخطابُ الديني والوظيفة الاجتماعية

الشيخ حسن الصفار

تقويم الخطاب الديني

الخطابُ الديني جزءٌ لا يتجزأ من حياة مجتمعاتنا الإسلامية، وهو ركن في بعضِ العبادات الدينية، كما هو الحال في صلاة الجمعة وصلاة العيدين الواجبتين، فالخطبة واجبة وجزءٌ من الصلاة فيهما. كما أن الحث على دعوة الناس إلى الخير، وإرشادهم إلى الحق، وهدايتهم إلى الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء أمر أهل البيت، كلُّها مفاهيم توجِب وجودَ خطابٍ ديني في المجتمع الإسلامي.

وللخطاب الديني مساحةٌ لا تُنكر من التأثير، فهو جزءٌ من الشأن العام، لذا ينبغي أن يهتم به كلُّ أفراد المجتمع، تماماً كما يهتمون بسائر الشؤون المرتبطة بحياتهم، وينبغي أن يكون لهم رأيٌ وموقفٌ فيه وتجاهه سلباً أو إيجاباً، فليس صحيحاً أن يقال: أن الاهتمام بالخطاب الديني ينحصر في دائرة منتجيه، وبقية الناس لا شأن لهم به، وليس من حقّهم أن يبدوا رأياً تجاهه، بل على العكسِ من ذلك، ما دامَ الخطاب من قضايا الشأن العام، ويؤثر في حياة الناس، فمن واجب الناس ومن حقهم أن يهتموا بهذا الخطاب.

ولو رجعنا إلى واقع الحياة الاجتماعية سابقًا، نجد أن عامة الناس تهمهم حياتهم الخاصة، ولا يرون أنفسهم معنيين بالشأن العام، عدا فئة خاصة من كبار المجتمع وزعامته، فإنهم يرون أنفسهم المعنيين بذلك، أمّا الآن فقد تغيّر الواقع الاجتماعي، وأصبحنا نرى أنّ الاهتمام بالشأن العام اتسعت رقعته في المجتمعات، بسبب ارتفاع مستوى التعليم، وانتشار المعرفة، وزيادة ثقة الناس بأنفسهم، وقدرتهم على التعبير عن آرائهم، عبر وسائل الأعلام والتواصل الحديثة، التي أتاحت لكلّ إنسان أن يعبّر عن رأيه وينشره في أوسع نطاق، وهذا يعني أنّه من الطبيعي حصول حالة النقد والتقويم للخطابِ الديني.

إضافةً لذلك: هناك قِوىً وتياراتٌ مخالفة للاتجاه الديني، تترصد ما تراهُ أخطاءً وثغراتٍ في الخطاب الديني، وتبثها في المجتمع، من أجل إضعاف تأثيره وإضعاف ثقة الناس به، وهذا أمرٌ طبيعي في ساحات الصراع والمنافسة بين التوجهات والتيارات.

وأساسًا فإن الخطاب الديني أداءٌ بشري في مضمونه وأسلوبه، وما دام كذلك فهو غير معصوم عن الخطأ والضعف، لأن العصمة محصورةٌ في القرآن الكريم، والنص الثابت عن المعصوم، أمّا مَن ينتج الخطاب الديني فهو يجتهد، وحسب اجتهاده ورأيه يتحدث ويخطّب ويكتُب، وكل أداءه بشري مُعرّض للنقص والخطأ، لذلك يُخطّئ العلماء بعضهم بعضاً في مختلف المسائل العَقدية والفقهية. ومن الأمثلة على ذلك نجد ان الشيخ المفيد رأى عدم صحة رأي الشيخ الصدوق في ثلاث وأربعين مسألة عقدية، ذكرها في كتابه «الاعتقاد»، فكتب المفيد كتابًا بعنوان «تصحيح الاعتقاد»، ونجد ذلك أيضاً في تعليقات الفقهاء على كتب الفتاوى الفقهية، ككتاب «العروة الوثقى» وهي فتاوى السيد محمد كاظم اليزدي، حيث يسجل كل فقيه في حاشيته على الكتاب موارد مخالفته لآراء السيد اليزدي، بمعنى عدم تصويبه لتلك الآراء، وان كان كل فقيه معذورًا فيما يذهب إليه، انطلاقًا من مشروعية الاجتهاد. بل قد يكتشف الفقيه أنه كان مخطئًا في رأيه العقدي أو الفقهي فيعدل عنه الى رأي جديد.

من جهةٍ أخرى، وبعيداً عن مسألة الخطأ والصواب، فإن الخطاب الديني بحاجةٍ الى التطوير ومواكبة التغيرات الثقافية والاجتماعية، خصوصاً مع تطوّر الحياة وتقدُّم العلم، وبالنقد والتقويم يحصل التطوير والتغيير، فقد يكون خطاب ديني صحيحًا ومناسبًا في وقتٍ من الأوقات وزمنٍ من الأزمنة، إلا أنه قد لا يكونُ كذلك في زمنٍ آخر، نظرًا لحصول تطوّر وتغيير في الواقع الاجتماعي.

ويشير الشيخ مرتضى مطهري إلى ملاحظة مهمة إذ يقول في أحدِ كتُبِه: (قد يكون شيء ما وسيلة للهداية، ثم قد يصبح الشيء نفسه في مكان آخر وسيلة للضلالة والضياع. إن المنطق الذي جعل امرأة مؤمنة، قد يُضلّ المثقف، وربّ كتاب متناسق مع ذوق عصر من العصور، ومنسجم مع مستواه الفكري، كان وسيلة في حينه لهداية الناس، ثم كان في وقت آخر سبباً لضلالهم، لدينا كتب سبق لها أن أدّت وظيفتها في الماضي، وأرشدت إلى سبيل الهداية آلاف الناس. إلا أن هذه الكتب نفسها فضلاً عن كونها لم تعد تهدي أحداً، فإنها أصبحت سبباً لضلال عدد من الناس وشكهم وحيرتهم).

لذا ينبغي أن يكون هناك تقويم ومراجعة للخطاب الديني، وهذا ما ينسجم مع تعاليم وتوجيهات الدين، التي تحثنا على النقد الذاتي والمحاسبة في مختلف المجالات، من أجل الارتقاء إلى الأفضل، ففي الرواية الواردة عن الإمام جعفر الصادق: «مَنِ اِسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمَيْهِ خَيْرَهُمَا فَهُوَ مَغْبُوطٌ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ يَوْمَيْهِ شَرَّهُمَا فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَمَنْ لَمْ يَرَ اَلزِّيَادَةَ فِي نَفْسِهِ فَهُوَ إِلَى اَلنُّقْصَانِ، وَمَنْ كَانَ إِلَى اَلنُّقْصَانِ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ اَلْحَيَاةِ».

لماذا يرفضون النقد والتقويم؟

نرى في بعض أوساط المتدينين مَن يزعجهم النقد والتقويم لكل ما يرتبط بالخطاب الديني، أو أي شأن من الشؤون الدينية، وكأن كل شيء فيها من الثوابت والمقدسات.

فنجد على سبيل المثال: أنَّ أحد العلماء يحذّر من نقد أي شيء يتعلق بالمجالس الحسينية، ويؤيد قوله بنقل قصةٍ عن الأثر الخطير لذلك في الآخرة، مفادها: أنّ إنسانًا مؤمنًا حضر مجلسًا حسينيًا، ولما خرج من المجلس انتقد شيئًا مما دار في المجلس، وفي الليل رأى كأنّ القيامة قد قامت، وكان هو من المؤهلين لدخول الجنة، وحين نظر الملائكة في صحيفته تركوه آخر الناس، ولم يسمحوا له بالدخول إلى الجنة إلا بعد انتظار طويل. وقالوا له: هذا بسبب نقدك لشيءٍ في المجلس الحسيني!!، إن هذا التحذير فيه مبالغة شديدة، كما أن الاستدلال بأطيافٍ وأحلامٍ منقولةٍ ليس منهجية علمية موضوعية.

وقد يكون التخوّف من نقد الخطاب الديني راجعًا إلى احتمال أنه يتم بتحريضٍ من الأعداء، الذين يتّخذون النقد وسيلةً لإضعاف الدين، ولا ننكر وجود أعداءٍ يسعون بمختلف الطرق لإضعاف الدين، وإضعاف ثقة الناس بالمؤسسة الدينية، ولكن مع ذلك لا يمكن منع النقد والتقويم، وانما ينبغي أن نتعامل معه تعاملاً إيجابياً مهما كانت جهتهُ ومصدرُه، وذلك بسدِ الثغراتِ والأخطاء في الخطاب والممارسات الدينية، وكشف المغالطات الموجودة في مقولات الناقدين.

كما أنه لا يصح اتهام كل ناقد بأنه ينطلق من خلفية عدائية، فهناك ناقدون من داخل الوسط الديني، ينطلقون من دافع الحرص على سمعة الدين، والإخلاص للحقيقة والمعرفة.

وجديرٌ بالذكر استحضار ما جاء في خطبةٍ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يحثُّ فيها من حوله على النقد والتقويم تجاه سياساته ومواقفه، يقول: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فلا تكفوا عن مقولةٍ بحق».

ونستنتج من ذلك: أنَّ على المتدينين ليس فقط أنْ لا يرفضوا النقد، وإنما أنْ يبادروا إلى النقد الذاتي، وتقويم الخطاب الديني، في كل مناسبة وكل موسم، وأن يشجعوا من حولهم على ممارسته والترحيب به، كما جاء في كلام الإمام علي.

ونستحضر هنا بعض المبادرات النقدية الجريئة التي قام بها علماء أجلاء لهم مكانتهم في الساحة الشيعية، ومنهم:

المحدث الشيخ حسين النوري صاحب مستدرك الوسائل، والذي ألّف كتابًا بعنوان (اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر) سلط فيه الأضواء على الممارسات الخطابية الرائجة المخالفة للضوابط الشرعية، وفنّد كل مبرراتها الزائفة.

السيد محسن الأمين في كتابه (المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية)، وهو من عدة أجزاء، ويسجل السيد الأمين في مقدمة هذا الكتاب نقدًا شديداً لخطابة كثير من الذاكرين في مناسبات أهل البيت ويصفها أنها مخالفة لنهج أهل البيت وتعاليمهم.

الشيخ محمد جواد مغنية الذي قدّم نقداً لكثيرٍ من مجالات الحالة الدينية، والخطاب الديني، في عددٍ من مؤلفاته وكتاباته.

الشيخ مرتضى مُطهّري نجد في عددٍ من كتبه نقدًا مفصّلًا للمؤسسة الدينية، وقد طبعت محاضراته النقدية حول ما يطرحه الخطباء من السيرة الحسينية في ثلاثة مجلدات بعنوان (الملحمة الحسينية)، وله كتابات في نقد بعض أوضاع الحوزات العلمية، وممارسات المنتمين إلى سلكها، مثل: (إحياء الفكر الديني في الإسلام، نقد الفكر الديني، محاضرات في الدين والاجتماع).

الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي نقد الرسائل العملية للفقهاء، ورأى أنَّ الأسلوب المتداول فيها لم يعد يناسب لغة العصر، وثقافة الناس المكلّفين، فعرض رأيه صريحًا في مقدمة رسالته (الفتاوى الواضحة)، وله أيضاً نقد عميق تجاه مناهج الحوزة العلمية ودروسها، كتبه في مقدمات حلقاته في علم الأصول، كما انتقد أسلوب تعامل الحوزة العلمية مع المجتمع في محاضرات سجلها في آخر أيام حياته، وصدرت في كتاب بعنوان (المحنة).

وهكذا سائر العلماء الذين بادروا إلى نقد الخطاب الديني كلٌّ في مجاله، وضمن الزاوية التي نظر اليها.

ولا يعني ذلك أنّ كلَّ رأيٍ من الآراء الناقدة صحيح بالمطلق، فآراء هؤلاء العلماء تقبل النقاش، والمجال مفتوح للبحث، والمبادرات قائمة. وخلاصة القول إن النقد والتقويم للخطاب الديني مشروعٌ ومفيدٌ للحالة الدينية.

ونُشيد هنا ببيان المرجعية الدينية العُليا لسماحة السيد علي السيستاني "حفظه الله" الذي صدر بمناسبة قرب حلول شهر المحرم ١٤٤١هـ كوصايا للخطباء والمبلّغين، تضمنت اثني عشر حكمة، فيها توجيهات مهمة وملاحظات دقيقة، تعالج بعض ثغرات الخطاب الديني المعاصر، ومن اهم نقاط الضعف التي عالجها هذا البيان المهم، وسلط عليها الأضواء، ما ننقله من النص الصادر من مكتب سماحته فقد جاء في الحكمة السادسة:

(تجنّب طرح ما يثير الفرقة بين المؤمنين والاختلاف فيهم، والاهتمام بالحفاظ على وحدتهم وتآزرهم والتوادّ بينهم. ومن وجوه ذلك تجنّب التركيز على جهات التمايز بينهم مثل اختلافهم في التقليد، وفيما يختلف المجتهدون فيه من تفاصيل بعض المعتقدات، بل كلّ خلاف بينهم لا يُخرِج بعضهم عن التمسّك بالكتاب والعترة، حتّى لو نشأ عن الاختلاف في درجات إيمانهم أو بصيرتهم، أو التزامهم أو رشدهم، بل حتّى لو كان عن زلّة صادرة من بعضهم.

ولا ينبغي إشهار الزلّة والتشهير بصاحبها فإنّ في ذلك ما يؤدّي إلى مزيد اشتهارها، وإلى إصرار صاحبها ومن قد يتأثّر به عليها، ويوجب وهن الحقيقة التي يُراد الحفاظ عليها فضلاً عن عدم جواز التشهير بالمؤمن وتسقيطه بزلّة صدرت منه لا سيّما فيما أوحى ذلك بعدم تقدير سائر خصائصه ومزاياه، ورُبّ زلّة خمدت بالسكوت عنها وترك ذكرها، واتّقدت ببيانها والحديث عنها، ورُبّ صمت عن شيء خير من كلام.

بل ينبغي تجنّب ما يثير الفرقة بين المسلمين ويوجب الضغينة وسوء الظنّ فيما بينهم، فإنّ ذلك خلاف تعاليمهم وسيرتهم حيث كانوا ﷺ يحرصون فيها على حسن التعامل مع الآخر وعدم إبراز الاختلاف على وجه يوجب وهن الإسلام أو تشويه الحقّ، حتّى وردت التوصية بالصلاة معهم والكفّ عنهم وحضور مجالسهم وتشييع جنائزهم، وذلك أمر مؤكّد وواضح في التاريخ بالنظر إلى أحاديثهم وسيرتهم، ومن ثَمّ كانوا عليهم السلام موضع احترام الآخرين وثنائهم بل اهتمّوا بالتعلّم منهم والتفقّه لديهم).

ومما جاء في الحكمة السابعة: (تجنّب القول بغير علم وبصيرة، فإنّ ذلك محرّم في الدين أيّاً كان مضمون القول، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٦]، وليس في حسن قصد المرء وسلامة غايته ما يبيح ذلك، كما لا يقيه من محاذير ذلك ومضاعفاته.

وليحذر المرء من الابتداع والبدع، وهي إضافة شيء إلى الدين ليس منه ولا حجّةً موثوقةً عليه فيه، فإنّ الابتداع في الدين من أضرّ وجوه الضلالة فيه، وهي تؤدّي إلى تشعّب الدين إلى عقائد متعدّدة وانقسام أهله إلى فرق وأحزاب مختلفة ومتقاطعة . كما نشهده في كثير من الأديان والمذاهب، وقد جاء عن النبيّ ﷺ التحذير من البدعة وأنّ شرّ الأمور محدثاتها وكلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

ومن القول بغير علم وبصيرة المبالغة في الشيء والتجاوز به عن حدّه، كأن يجعل الأمر النظريّ المتوقّف على الاجتهاد واضحاً وبديهيّاً، أو يجعل الأمر المختلف فيه بين وجوه أهل العلم متّفقاً عليه بينهم تصريحاً أو تلويحاً وينزّله منزلته، أو يجعل المظنون مقطوعاً، أو يجعل المحتمل مظنوناً، أو يجعل بعض الوظائف الشرعيّة فوق درجاتها فيبلغ بالمستحبّ درجة الواجب . من غير عنوان ثانويّ واجب ينطبق عليه . وبالواجب من غير الدعائم درجة دعائم الدين أو يعكس ذلك، فإنّ ذلك كلّه أمر غير مقبول شرعاً.

وجاء في الحكمة الثامنة: (ليحذر المبلّغون والشعراء والرواديد أشدّ الحذر عن بيان الحقّ بما يوهم الغلوّ في شأن النبيّ وعترته؟صلعهم؟، والغلوّ على نوعين: إسباغ الصفات الألوهيّة على غير الله سبحانه، وإثبات أمور ومعانٍ لم تقم حجّة موثوقة عليها، ومذهب أهل البيت عليهم السلام خالٍ عن الغلوّ بنوعيه، بل هو أبعد ما يكون عنه، وإنّما يشتمل على الإذعان للنبيّ وعترته (صلوات الله عليهم) بمواضعهم التي وضعهم الله تعالى فيها من دون زيادة ولا إفراط، بل مع تحذّر في مواضع الاشتباه، وورعٍ عن إثبات ما لم تقم به الحجّة الموثوقة).

معاييرُ النقد والتقويم

لا بُدّ للنقد والتقويم من معايير موضوعية صحيحة، فهناك من يستخدم التهريج والتجريح والألفاظ المسيئة في نقده لآراء الآخرين، أو يعمّم الأخطاء، وهذا أسلوب خطأ، يضر ولا ينفع، ويُفقد صاحبه المصداقية، وقد يُظن بصاحب هذا الأسلوب أنَّه يريد إلفات الناس إلى ذاته، أو تصفية حسابات مع هذه الجهة أو تلك، ويُشغل الناس بقضايا جانبية هامشية، ويُشوّه عملية الإصلاح والتطوير، فالنقد بهذه الكيفية ليس في محلّه ولا يُعدُّ أسلوباً سليماً.

من الجانب الآخر هناك تقويم ونقد على أساس علمي، ينطلق من حالة فكرية علمية، فكل إنسان لديه فكر ومعرفة فيما يحدث حوله، من حقه أن ينتقد ويُقوّم.

ومهم جداً في مسألة التقويم أن نلتفت إلى مسألة الاتفاق على المرجعية الفكرية، إذ حين تختلف المرجعية، من الطبيعي أن تختلف الآراء والمواقف، فكل اتجاه له مرجعيته الفكرية، فإذا جاء شخص من خارج الفضاء الديني يريد أن يحاكم الخطاب الديني وفق مرجعيته العلمانية مثلاً، فهذا خطأ، لأنّ محاكمة الخطاب لا بُدّ أن تنطلق من المرجعية التي يقبلها، أو من خلال المبادئ العقلية والإنسانية العامة المتفق عليها، دون فرض مرجعية وقناعة أُخرى على الخطاب الديني.

انعكاسات الخطاب الديني ومخرجاته الاجتماعية

إن من أهم مناهج النقدِ والتقويم لأي خطاب، قراءة المخرجات والنتائج، وملاحظة انعكاس الخطاب على المجتمع سلباً وإيجاباً. فمثلاً: حين نجد أنّ الخطاب الديني ساهم في انتاج مجتمعٍ متقدمٍ متحضّرٍ، فهذا يدل على سلامة ورقي هذا الخطاب، بينما حين نجد أنَّ النتيجة كانت تكريس واقعٍ متخلّفٍ ووضعٍ سيء، هنا لا يُمكن أن نحكم بصوابية ذلك النهج من الخطاب. فعلى أساس النتائج والانعكاسات التي صنعها الخطاب في المجتمع يكون النقد والتقويم.

وحين ننظر إلى الواقع الاجتماعي في عالمنا الإسلامي، نجد واقعاً ليس إيجابيًا، فيه ظواهر سلبية خطيرة، ومن أبرزها:

أولاً: عدم رسوخ القيم الأساس للدين في نفوس أبناء المجتمع، وغياب الالتزام بها في سلوكهم، كقيمة الحرية والعدالة وحقوق الإنسان، وضعف الالتزام بالأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة، ومراعاة النظام، فهذه القيم غير راسخة في النفوس، وغير منعكسة على السلوك في مساحة واسعة من هذه المجتمعات.

ثانياً: ضعف الاهتمام العلمي والثقافي، وغياب الإبداع في علوم الطبيعة والحياة، فالعالَم يتقدَّم كل يوم في مختلف مجالات العلوم، ومساهمة مجتمعاتنا الإسلامية في هذا التقدم العلمي لا تكاد تذكر، وحين نُسلّط الضوء على بعض المبادرات العالمية للإشادة بالمبدعين والمتميزين في إنتاجهم العلمي، مثل جائزة الملك فيصل العالمية، نجد أنه قد فاز بالجائزة في مجال العلوم المختلفة حتى ٢٠١٩م، ٥٩ عالماً من ١٤ جنسيّة، وليس فيهم من يحمل جنسية بلد إسلامي، عدا الفائزين في مجال الأدب وخدمة الإسلام.

نعم نجد في المسلمين من حصل على جائزة نوبل لكنهم يعدّون على الأصابع، ولا يُقاسون عددًا بمن فازوا بالجائزة من اليهود والمسيحيين والديانات الأخرى، فلماذا نجد ضعف الاهتمام العلمي، والإبداع المعرفي في مجتمعاتنا الإسلامية؟

ثالثاً: انخفاض مستوى الفاعلية والإنتاج ومستوى جودة الحياة، كالإنتاج الصناعي والزراعي والتكنولوجي، وفي مختلف المجالات. وقد أصبح لجودة الحياة معايير ومقاييس عالمية فيما يرتبط بالخدمات الصحية، وفرص التعليم، والعمل، والأمن الاجتماعي، والتخطيط العمراني، والحوكمة والشفافية، ومجالات الترفيه.. وتتنافس الدول والمجتمعات الأخرى على تحقيق أعلى الدرجات فيها، بينما لا تزال معظم مجتمعاتنا الإسلامية تحتل أدنى المراتب في المؤشرات والتقارير الدولية لجودة الحياة.

رابعاً: ضعف المشاركة والاقبال على العمل التطوعي الإنساني، في مقابل الإقبال الأكثر على الأعمال الدينية، كبناء المساجد والحسينيات، وأداء الحج والعمرة، وزيارة العتبات المقدسة، وحضور المآتم وإقامة الشعائر، وهي أعمالٌ حسنة مرضيّة عند الله تعالى، إلا أننا نتطلع لمثل هذا الإقبال والتفاعل مع الجمعيات الخيرية، والأندية الرياضية، ولجان الاهتمام بالبيئة، وبذوي الاحتياجات الخاصة، ومراكز البحث العلمي والإبداع الفني، فالإقبال على هذه المجالات ضعيفٌ جداً مقارنةً بالمجتمعات الأخرى، حيث تشير مثلاً الإحصائية التي صدرت قبل سنوات قليلة في المملكة العربية السعودية عن العمل التطوعي، إلى أن عدد المسجلين رسميًا كمتطوعين في المملكة لا يتجاوز ٢٣ ألفًا فقط في وطن تعداد سكانه يقارب الثلاثين مليوناً!!، وهناك الآن تطلع لرفع عدد المتطوعين على مستوى المملكة إلى مليون متطوع بحلول سنة ٢٠٣٠م في سياق الرؤية المعتمدة.

خامساً: كثرة الخلافات والنزاعات في المجتمعات الإسلامية وخاصةً في الأوساط الدينية، حتى أن البعض يستخدم الخطاب الديني والأمور العبادية في إذكاء حالة الصراع والخلاف، ومما يُنقل في التاريخ الماضي: أنه حصل نزاعٌ بين قريتين، فأوقف أحدهم مزرعة نخيل من أجل استخدام (جريد النخل) في النزاع قربة الى الله تعالى؛ وكأنّ النزاع والصراع في بعض الأوساط جزء من الحالة الدينية والأعمال العبادية التي يتقرب بها إلى الله تعالى.

هذه بعضُ الظواهر الموجودة في معظم مجتمعاتنا الإسلامية، على سبيل المثال لا الحصر، وقد تجد من يُقوّم الخطاب الديني من خلال هذا الواقع الاجتماعي.

المصدر: مجلة الاجتهاد والتجديد، العددان التاسع والخمسون والستون
السنة الخامسة عشر، صيف ٢٠٢١م، ١٤٤٢هـ، وخريف ٢٠٢١م، ١٤٤٣هـ

ملاحظة

الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف نجم السماء وطارقها

بقلم السيد فاضل حاتم الموسوي

الطرق في اللغة هو الضرب الشديد الذي يسمع له صوت ومنه المطرقة والطريق لان السابلة تطرقها بأقدامها ثم شاع استعماله في سلوك الطريق وبعد ذلك اختص بالإتيان ليلاً لان الآتي بالليل في الغالب يجد الأبواب مغلقة فيطرقها ويدقها حتى شاع لفظ الطارق في كل ما يظهر ليلاً.

والمراد بالطارق في الآية الكريمة هنا هو ذلك النجم الذي يطلع بالليل والثاقب في الأصل بمعنى الخرق ثم صار بمعنى النير المضيء لأنه يثقب الظلام بنوره ويأتي تارة بمعنى العلو والارتفاع ومنه ثقب الطائر أي ارتفع وعلا كأنه يثقب الجو بطيرانه (الميزان، الطباطبائي ج٢٠، ص ٢٥٨). وفسره البعض: الطارق النجم الثاقب , وهو نجم العذاب ونجم القيامة وهو زحل في أعلى المنازل.

وروي أن منجماً سال الإمام الصادق عليه السلام بقوله: فما معنى الثاقب؟ قال: لان مطالعه في السماء السابعة وانه ثقب بضوئه حتى أضاء السماء الدنيا , فمن ثم سماه الله بالنجم الثاقب (نور الثقلين ج٥، ص ٥٥٠)، وذهب بعض المفسرين الى خصوص كوكب زحل لأنه أبعد ما يمكن رؤيته من منظومتنا الشمسية فلعلوه ولمعانه وما تحيط به من أقمار مضيئة أطلقوا عليه بالنجم الثاقب (الأمثل، الشيرازي ج٢٠ ص ١٠٦).

وقبل اختراع الإنسان للبوصلة والأجهزة الحديثة لم تكن هناك وسيلة سوى النجوم لهداية الإنسان الحائر في الصحاري والمتاهات ولم تكن هنالك علامات في الطرق البرية والبحرية , وهذه الحقيقة ذكرها القران الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٧)، فالنجوم تهدي الإنسان المتحير الى الطريق الصحيح الذي يوصله الى هدفه، كذلك جعل الله تبارك أهل البيت عليهم السلام يهدون الضال والمتحير عن طريق الهداية والإيمان قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤).وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: مثل أهل بيتي مثل النجوم (بحار الأنوار ج٢٤، ص ٨٢). وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: النجوم أمان لأهل السماء إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء , وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض (فضائل الصحابة ج٢ ص ٦٧١). وعنه صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أنت نجم بني هاشم (بحار الأنوار ج٢٤، ص ٨٢). فإذا توفرت عناصر الهداية في مجتمع ما فأنه لا يقع في دائرة الاختلاف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف (المستدرك على الصحيحين الطبراني ج٣ ص١٦٣). ولنا بهذا الصدد بحث بينا فيه أن أهل البيت عليهم السلام لا يمثلون الهداية فقط وإنما الحماية والزينة أيضا فمن أحب التوسعة يراجع بحث (العلاقة الكونية بين أهل البيت عليهم السلام والنجوم).

وبالتالي سواء كان الطارق زحل أو الثريا أو غيرها من النجوم , يبقى ذلك النجم الغائر في عمق السماء الذي له نور جذاب ولمعان شديد يثقب ظلمة الليل وينفض عن القلب غبار الغفلة والسبات وينير عقلة ويلفت اهتمامه ويدفع الله به شر الشياطين وأعوانهم عن السماء وأهلها والأرض وأهلها ووجه تقريب هذه الآية بالإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف انه يشترك مع الأئمة عليهم السلام جميعا في نفس الوظائف والمهام إلا أن صفة الغيبة والبعد عن الناس هي ما يميزه عن باقي الأئمة عليهم السلام. ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام لما سئل عن الطارق؟ قال: هو أحسن نجم في السماء وليس تعرفه الناس وإنما سمي الطارق لأنه يطرق نوره سماه الى سبع سماوات ثم يطرق راجعا حتى يرجع الى مكانه (علل الشرائع ج١، ص ٣٠١).

المصدر: مركز الإمام الصادق عليه السلام

مقالة

في ذكرى ولادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

انطباعات عن شخصية الإمام الصادق عليه السلام

أشاد الإمام الباقر عليه السلام أمام أعلام شيعته بفضل ولده الصادق عليه السلام قائلا: هذا خير البريّة.

وأفصح عمّه الشهيد زيد ابن الإمام عليّ زين العابدين رضي الله عنه عن عظيم شأنه فقال: «في كلّ زمان رجلٌ منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن أخي جعفر لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه».

وقال مالك بن أنس: «ما رأت عينٌ ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمّد الصادق علماً وعبادةً وورعاً».

وقال المنصور الدوانيقي مؤنّباً الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ جعفر بن محمّد كان ممّن قال الله فيه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وكان ممن اصطفى الله وكان من السابقين بالخيرات».

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ): سمعت أبي يقول: جعفر بن محمّد ثقة لا يُسألُ عن مثله.

وقال: سمعت أبا زرعة وسئل عن جعفر بن محمّد عن أبيه وسهيل بن أبي صالح عن أبيه والعلاء عن أبيه أيّما أصحُّ؟ قال: لا يُقرنُ جعفر بن محمّد إلى هؤلاء.

وقال ابو حاتم محمّد بن حيّان (ت ٣٥٤ هـ) عنه: كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلا.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي (٣٢٥ ـ ٤١٢ هـ) عنه: فاق جميع أقرانه من أهل البيت عليهم السلام وهو ذو علم غزير وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وأدب كامل في الحكمة.

وعن صاحب حلية الأولياء (ت ٤٣٠ هـ): ومنهم الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق، أقبل على العبادة والخضوع وآثر العزلة والخشوع ونهى عن الرئاسة والجموع.

وأضاف الشهرستاني (٤٧٩ ـ ٥٤٨ هـ) على ما قاله السلمي عنه: وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ثمَّ دخل العراق وأقام بها مدَّة، ما تعرّض للإمامة قط، ولا نازع في الخلافة أحداً، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطٍّ.

وذكر الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ) في مناقب أبي حنيفة أ نَّه قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمَّد. وقال: لولا السنتان لهلك النعمان. مشيراً إلى السنتين اللتين جلس فيهما لأخذ العلم عن الإمام جعفر الصادق.

وقال محمّد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) عنه: هو من عظماء أهل البيت عليهم السلام وساداتهم ذو علوم جمّة وعبادة موفورة وأوراد متواصلة وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجايبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهّد في الدنيا، والإقتداء بهديه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنه من ذريّة الرسالة، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة وأعلامهم.. وعدّوا أخذهم عنه منقبةً شُرِّفوا بها وفضيلةً اكتسبوها.

وأما مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدّ الحاصر ويُحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر حتَّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه.

وقد قيل أنّ كتاب الجفر الذي بالمغرب ويتوارثه بنو عبد المؤمن هو من كلامه عليه السلام وأنّ في هذه لمنقبةً سنيّةً، ودرجةً في مقام الفضائل عليّةً، وهي نبذةٌ يسيرةٌ مما نُقِلَ عنه.

وفي تهذيب الأسماء (٦٣١ ـ ٦٧٦ هـ) عن عمرو بن أبي المقدام قال: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمّد علمت أ نَّه من سلالة النبيين.

وقال ابن خلكان (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ): جعفر الصادق... أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية وكان من سادات أهل البيت، ولُقّب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر وله كلامٌ في صنعة الكيميا، والزجر والفال... ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمّد الباقر وجدّه عليّ زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن عليّ(رضي الله عنهم أجمعين) فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه.

وقال البخاري في فصل الخطاب (٧٥٦ـ٨٢٢ هـ): اتّفقوا على جلالة الصادق عليه السلام وسيادته.

وقال ابن الصبّاغ المالكي (٧٨٤ـ٨٥٥ هـ): نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان، ولم يُنقل من العلماء عن أحد من أهل بيته ما نُقل عنه من الحديث.

وروى عنه جماعةٌ من أعيان الأمة.. وصّى إليه أبو جعفر عليه السلام بالإمامة وغيرها وصيّةً ظاهرةً، ونصّ عليها نصّاً جليّاً.

من مظاهر شخصية الإمام الصادق عليه السلام

سعة علمه

لقد شقَّق الإمام الصادق عليه السلام العلوم بفكره الثاقب وبصره الدقيق، حتَّى ملأ الدنيا بعلومه، وهو القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني فإنه لا يحدثكم أحدٌ بعدي بمثل حديثي». ولم يقلْ أحدٌ هذه الكلمة سوى جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وقد كان من مظاهر سعة علمه أنه قد ارتوى من بحر علومه أربعة آلاف طالب وقد أشاعوا العلم والثقافة في جميع الحواضر الإسلامية ونشروا معالم الدين وأحكام الشريعة.

كرمه وجوده

لقد كان الإمام الصادق عليه السلام، من أندى الناس كفاً، وكان يجود بما عنده لإنعاش الفقراء والمحرومين، وقد نقل الرواة بوادر كثيرةً من كرمه، كان من بينها ما يلي:

سأله فقيرٌ فأعطاه أربعمائة درهم، فأخذها الفقير، وذهب شاكراً، فقال عليه السلام لخادمه: ارجعه، فقال الخادم: سئلت فأعطيت، فماذا بعد العطاء؟ قال عليه السلام: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خير الصدقة ما أبقت غنى»، وإنّا لم نغنه، فخذ هذا الخاتم فاعطه فقد أعطيت فيه عشرة آلاف درهم، فإذا احتاج فليبعه بهذه القيمة».

ومن بوادر كرمه أنه كان يطعم ويكسو حتَّى لم يبق لعياله شيء من كسوة أو طعام.

ومن كرمه أنه مرّ به رجلٌ، وكان عليه السلام يتغدّى، فلم يسلّم الرجل فدعاه الإمام إلى تناول الطعام، فأنكر عليه بعض الحاضرين، وقال له: السنة أن يسلمَ ثم يُدعى، وقد ترك السلام على عمد... فقابله الإمام عليه السلام ببسمات مليئة بالبِشر وقال له: «هذا فقه عراقي، فيه بخل...».

صدقاته في السرّ

أما الصدقات في السرِّ فإنها من أفضل الأعمال وأحبها لله لأنها من الأعمال الخالصة التي لا يشوبها أيُّ غرض من أغراض الدنيا، وقد ندب إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما أنها كانت منهجاً لهم، فكل واحد منهم كان يعول جماعةً من الفقراء وهم لا يعرفونه. وكان الإمام الصادق يقوم في غَلَسِ الليل البهيم فيأخذ جراباً فيه الخبز واللّحم والدراهم فيحمله على عاتقه ويذهب به إلى أهل الحاجة من فقراء المدينة فيقسمه فيهم، وهم لا يعرفونه، وما عرفوه حتَّى مضى إلى الله تعالى فافتقدوا تلك الصلات فعلموا أنها منه.

سموُّ أخلاقه

كان الإمام الصادق عليه السلام على جانب كبير من سموِّ الأخلاق، فقد ملك القلوب، وجذب العواطف بهذه الظاهرة الكريمة التي كانت إمتداداً لأخلاق جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سما على سائر النبيين بمعالي أخلاقه.

وكان من مكارم أخلاق الإمام وسموِّ ذاته أنه كان يحسن إلى كل من أساء إليه، وقد روي أنّ رجلا من الحجاج توهم أنّ همیانه قد ضاع منه، فخرج يفتش عنه فرأى الإمام الصادق عليه السلام يصلي في الجامع النبوي فتعلق به، ولم يعرفه، وقال له: أنت أخذت همياني..؟.

فقال له الإمام بعطف ورفق: ما كان فيه؟..

قال: ألف دينار، فأعطاه الإمام ألف دينار، ومضى الرجل إلى مكانه فوجد همیانه فعاد إلى الإمام معتذراً منه، ومعه المال فأبى الإمام قبوله وقال له: شيء خرج من يدي فلا يعود، إلي، فبهر الرجل وسأل عنه، فقيل له: هذا جعفر الصادق، وراح الرجل يقول بإعجاب: لا جَرَمَ هذا فعال أمثاله. إنّ شرف الإمام عليه السلام الذي لا حدود له هو الذي دفعه إلى تصديق الرجل ودفع المال له.

وقال عليه السلام: «إنا أهل بيت مروءتنا العفوُ عمن ظلمنا».

وكان يفيض بأخلاقه الندية على حضّار مجلسه حتَّى قال رجلٌ من العامة: والله ما رأيت مجلساً أنبل من مجالسته.

إقباله على العبادة:

أما الإقبال على عبادة الله تعالى وطاعته فإنه من أبرز صفات الإمام، فقد كان من أعبد الناس لله في عصره، وقد أخلص في طاعته لله كأعظم ما يكون الإخلاص، وإليك صورةٌ موجزةٌ عن عباداته:

أ) صلاته: إنّ الصلاة من أفضل العبادات وأهمها في الإسلام، وقد أشاد بها الإمام الصادق عليه السلام في كثير من أحاديثه:

قائلاً عليه السلام: «ما تقرب العبد إلى الله بعد المعرفة أفضل من الصلاة».

وقال عليه السلام: «إن أفضل الأعمال عند الله يوم القيامة الصلاة، وما أحسن من عبد توضأ فأحسن الوضوء».

وقال عليه السلام: «الصلاة قربان كلّ تقي».

وقال عليه السلام: «أحبّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء، فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحى حيث لا يراه أنسيٌّ فيشرف الله عليه وهو راكعٌ أو ساجدٌ إنّ العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس: يا ويله أطاعوا وعصيتُ، وسجدوا وأبيتُ».

وقال أبو بصير: دخلت على أُمّ حميدة ـ زوجة الإمام الصادق عليه السلام ـ أُعزّيها بأبي عبد الله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها، ثم قالت: يا أبا محمّد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً فتح عينيه ثم قال: «اجمعوا كلَّ من بيني وبينه قرابة. قالت فما تركنا أحداً إلاَّ جمعناه، فنظر إليهم ثمَّ قال: إنّ شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة».

ومن الجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لم يَدَعْ نافلةً من نوافل الصلاة إلاّ أتى بها بخشوع وإقبال نحو الله.

وكان عليه السلام إذا أراد التوجه إلى الصلاة اصْفَرَّ لونه، وارتعدت فرائصه خوفاً من الله تعالى ورهبةً وخشيةً منه. وقد أُثِرَتْ عنه مجموعة من الأدعية في حال وضوئه، وتوجهه إلى الصلاة وفي قنوته، وبعد الفراغ من صلاته.

ب) صومه: إنّ الصوم من العبادات المهمة في الإسلام، وذلك لما يترتب عليه من الفوائد الاجتماعية والصحية والأخلاقية، «وهو جُنّةٌ من النار». كما قال الإمام الصادق عليه السلام.

وقد حثَّ الإمام الصادق عليه السلام الصائم على التحلي بالأخلاق والآداب التالية، قال عليه السلام: «وإذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك من القبيح والحرام، ودعِ المراء، وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، ولا تجعل يوم صومك مثل يوم فطرك سواء..».

وكان عليه السلام صائماً في أغلب أيامه تقرباً إلى الله تعالى. أما شهر رمضان المبارك فكان يستقبله بشوق بالغ، وقد أُثرت عنه بعض الأدعية المهمة عند رؤيته لهلاله، كما أُثرت عنه بعض الأدعية في سائر أيامه وفي ليالي القدر المباركة وفي يوم عيد الأضحى الأغرّ.

ج) حجّه: أما الحجّ فهو بالإضافة إلى قدسيته فإنه من أهم المؤتمرات العبادية السياسية التي تعقد في العالم الإسلامي، حيث تُعرضُ فيه أهم المشاكل التي تواجه المسلمين سواء أكانت من الناحية الاقتصادية، أم الاجتماعية، أو المشاكل السياسية الداخلية والخارجية، مضافاً إلى أنه من أهم الروابط التي يعرف بها المسلمون بعضهم بعضاً.

وقد حجّ الإمام الصادق عليه السلام مرات متعددةً والتقى بكثير من الحجاج المسلمين، وقد كان المعلم والمرشد لهم على مسائل الحجّ، فقد جهد هو وأبوه الإمام محمّد الباقر عليهما السلام على بيان أحكام الحجّ بشكل تفصيليّ، وعنهما أخذ الرواة والفقهاء أحكام هذه الفريضة، ولولاهما لما عُرِفت مسائل الحج وأحكامه.

وكان الإمام الصادق عليه السلام يؤدي بخضوع وخشوع مراسيم الحجّ من الطواف، والوقوف في عرفات ومنى، وقد رَوى بكر بن محمّد الأزدي فقال: خرجت أطوف، وإلى جنبي الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام حتَّى فرغ من طوافه ثم مال فصلى ركعتين بين ركن البيت والحجر، وسمعته يقول في أثناء سجوده: «سجد وجهي لك تعبداً ورقّاً، لا إله إلاّ أنت حقاً حقاً، الأوّل قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، وها أنا ذا بين يديك، ناصيتي بيدك فاغفر لي إنه لا يغفر الذنب العظيم غيرك، فاغفر لي، فإني مقرٌّ بذنوبي على نفسي، ولا يدفع الذنب العظيم غيرك».

ثم رفع رأسه الشريف، ووجهه كأنما غُمّس في الماء من كثرة البكاء.

ورَوى حمّاد بن عثمان فقال: رأيت أبا عبد الله جعفر بن محمّد بالموقف رافعاً يده إلى السماء... وكان في موقف النبيّ صلى الله عليه وآله وظاهر كفّيه إلى السماء.

وكان عليه السلام إذا خرج من الكعبة المقدسة يقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، اللهم لا تجهد بلاءنا، ولا تشمت بنا أعداءنا، فإنك أنت الضار النافع».

وروى حفص بن عمر ـ مؤذن عليّ بن يقطين ـ فقال: كنا نروي أنه يقف للناس في الحجّ سنة (١٤٠ هـ) خير الناس، فحججت في تلك السنة، فإذا إسماعيل بن عبد الله بن العباس واقف فداخلنا من ذلك غمٌّ شديدٌ، فلم نلبث، وإذا بالإمام أبي عبد الله عليه السلام واقفٌ على بغلة له، فرجعت أبشّر أصحابي، وقلت: هذا خير الناس الذي كنا نرويه.

وكان من أعظم الخاشعين والداعين في مواقف الحجّ، فقد رُوي أنّ سفيان الثوري قال: والله رأيت جعفر بن محمّد عليه السلام ولم أرَ حاجّاً وقف بالمشاعر، واجتهد في التضرُّع والإبتهال منه، فلمّا وصل عرفات أخذ من الناس جانباً، واجتهد في الدعاء في الموقف.

المصدر: رواق الحج (باختصار)

تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية

تعتبر جامعة آل البيت عليهم السلام العالمية أول مؤسسة عربية تعتمد النظام الأكاديمي في تنظيم و تدريس المواد الحوزوية في مدينة قم المقدسة، وقد أنشئت الجامعة في ٣، ذي الحجة ١٤٢٣هـ. ق؛

ورسمت لها مسارات عبرالمؤسسات العلمية و الأكاديمية حيث ترمي للحصول على الاعتمادات الأكاديمية داخليًا وخارجيًا بما يساعد على رفع جودة مخرجاتها؛ كما تقدم الجامعة تعليمًا عاليًا يبتني على أفضل النماذج التعليمية المستندة إلى تطبيقات وتقنيات التعليم المعاصر، والذي يدمج بين تعليم الحضور المباشر، والحضور عن طريق التقنية، ونقل وتوطين المعرفة الرائدة إلى كل العالم، وبمحتوى تعليمي لائق من مصادر ذات جودة أكاديمية رائدة؛ وتوطينه بما يتناسب ومتطلبات العالم الإسلامي، إضافة إلى دعمها لرسالة ومفهوم التعليم الهادف لكافة الشباب المسلم في العالم.

رؤيتنا

الرِّيادة العالمية في التَّربية والتَّعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع تمهيدًا لتحقيق العدالة الإلهية.

رسالتنا

ممارسة رسالة رافدة لعملية تعليمية وعلمية وتربوية مستمرة.

أهدافنا الإستراتيجية

١- رفع وتحقيق كفاءة مُستدامة في الأداء المؤسسي.

٢- إقامة منهج نموذجي متميّز للدراسة الحوزوية.

٣- إيصال الجامعة ومنتسبيها إلى أفضل المستويات التعليمية والعلميّة والتّربوية والإدارية.

٤- إثراء الحواضر العلمية والمجتمع بطاقات ذات تأهيل عالٍ، على كافّة المستويات التعليمية والعلميّة والتّربوية.

٥- تحقيق الاكتفاء الذاتي للموارد المالية والبشرية، بما يفي ومتطلبات التّنميةِ المستدامةِ لعمل الجامعة.

٦- صنع موقعية علمية ومعرفية واجتماعية متميّزة ومؤثرة داخليًا ومحليًا ودوليًا.

٧- الربط الوثيق والشامل بين الجامعة وفكر العلامة الفضلي.

تأسيس الجامعة

تأسست الجامعة في ٣ ذي الحجة ١٤٢١ هـ، الموافق ٢٠ يناير عام ٢٠٠٥ م، وهي أول جامعة عربية خيرية اعتمدت الطريقة الأكاديمية في تدريس المواد الحوزوية في مدينة قم المقدسة، بالإضافة إلى رفد المبلغين الدينيين من جميع الجنسيات. يُشرف عليها عالم مجتهد؛ للحفاظ على قدسية العلم وأصالة الفكر، حيث يُذكر أنّ أول من تولّى الإشراف عليها هو عبد الهادي الفضلي (ت ١٤٣٤ هـ/٨ أبريل ٢٠١٣ م). تبلغ مساحة بناء الجامعة (١٥٠٠٠) متر مربع، في (١١) طابق، من ضمنها مسجد ومكتبة كبيران، حيث تميّز بناء الجامعة بالحجم الكبير، بالإضافة إلى اتسام البناء بالدمج بين الطراز الإسلامي القديم والبناء الحديث؛ لينتج تصميم جديد ومميز. تقع بناية الجامعة في وسط مدينة قم المقدسة في إيران.

مقالة/ الجزء الرابع

أصول الفقه

المؤلف: احمد پاكتچی

حاجة العصر الى تقعيد الفقه والتنظير الفقهي

أصول الفقه في المدارس الشيعية

ألف. الفقهاء الإمامية وأوائل الآثار الأصولية

في نظرة عابرة إلى الأجنحة القائمة في حوزات الفقه الإمامية المتقدمة، ينبغي القول إنه برغم قلة المصادر، يمكن ـ استناداً إلى المواقف الخاصة باستخدام الأدلة الفقهية المختلفة في القرنين ٢و٣هـ ـ تمييز عدة أجنحة متمايزة نسبياً، كانت تستخدم في فقهها فكراً تحليلياً يتجاوز متون الروايات. و في هذا البحث وبرغم أن حلقة تدريس أعلام مثل زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وأبي بصير وحلقة درس هشام بن سالم المهمة، جديرة بالدراسة، إلا أن حلقة درس هشام بن الحكم وأتباعه في تدوين أول آثار الإمامية في الأصول تتمتع من بينها بمكانة متميزة.

ومن أهم المسائل المطروحة على بساط البحث في محاضرات الإمامية التي كانت داخل المذهب وتلك التي بين شتى المذاهب خلال تلك الفترة، مسألتي اجتهاد الرأي واختلاف الحديث العريقتين. وبغية الدخول في البحث، تجدر الإشارة إلى أثر من تأليف الحميري عنوانه كتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم و [القراءة المقترحة: في] القياس والأرواح والجنة والنار والحديثين المختلفين، مما يظهر بوضوح وجود خلاف بارز بين مواقف هذين الهشامين بوصفهما ممثلين لنمطين من التفكير في الموضوعات المذكورة.

واستناداً إلى البحث في الفهارس والروايات الباقية، ينبغي الإقرار بأن النموذجين المعروفين من آثار علماء الإمامية في القرن ٢هـ لم يؤلّفا في اجتهاد الرأي، بل في كيفية التعامل مع اختلاف الحديث.و هذان الأثران، حيث إن أحدهما هو: كتاب الأخبار وكيف تصح لهشام بن الحكم، والآخر: اختلاف الحديث لتلميذه والسائر على خطاه، يونس بن عبد الرحمان، ينبغي أن يعدّا عائدين إلى تيار واحد ذي نزعة كلامية ووجهة نظر معتدلة مقارنة بالقياس. وفيما يتعلق بالأسلوب المقترح من قبل هشام بن الحكم والموافقين له فكرياً في التعامل مع الحديثين المختلفين ونظراً لفقدان مخطوطتي هذين الأثرين، فإنه لايمكن إبداء رأي، إلا على أساس الروايات المتناثرة. فاستناداً إلى النزر القليل الباقي من روايات وآراء هشام ويونس، فإن ما نعلمه هو أنهما يجب أن يُدرجا في عداد نقّاد الحديث اللذين انتهجا بدلاً من الاهتمام بالجمع بين الحديثين، أسلوباً متشدداً في أصل قبول الأخبار.

و في ختام الحديث عن الآثار الأصولية القديمة لدى الإمامية تجدر الإشارة إلى تأليف آثار في بحوث الألفاظ التي طُرحت في الآثار الأصولية على مدى التاريخ بوصفها بحوث مقدمات وملحقة ببحوث الأدلة. وبوصفه أقدم مؤلَّف بهذا الشأن فيما يحتمل ـ و من بين آثار جميع المذاهب الإسلامية ـ ينبغي أن نذكر مؤلفاً لهشام بن الحكم لم يبقَ منه اليوم سوى اسمه. و إن ذكر هذا الأثر الذي أشار إليه النجاشي بعنوان الألفاظ ومباحثها، والشيخ الطوسي بالعنوان الموجز الألفاظ، لم يُرفق في أي من المصدرين بشرح يوضح مضمون الكتاب. وهذا الاحتمال يستحق التأمل في أن الألفاظ لهشام كان مؤلفاً تحليلياً، لكنه الأول في باب أساليب الخطاب مما شكل فيما بعد أيضاً بنفس عنوان «مباحث الألفاظ» قسماً مهماً من بحوث الكتب الأصولية. ومن باب دراسة خلفية الموضوع، يجدر القول إن بحوث الألفاظ طُرحت بالتفصيل في كتاب العالم المعاصر لهشام، أي الرسالة للشافعي أيضاً، و لايستبعد أن يكون هشام قد ألّف في هذا الموضوع.

و من بين المتون الإمامية القديمة مما تجدر الإشارة هنا إليه بوصفه مؤلَّفاً ذا علاقة بأصول الفقه وبشكل خاص بحوث الألفاظ ودليل الكتاب، متن مجهول المؤلف والعنوان عُرف بـ تفسير النعماني لاينبغي أن يكون زمن تأليفه قد تجاوز القرن ٣هـ. وبرغم أن هذا المتن يُعدّ للوهلة الأولى، متناً مؤلفاً في العلوم القرآنية وتبدو علاقته بالبحوث الأصولية غريبة، لكن وبنظرة أكثر عمقاً تشكل أجزاء منه نموذجاً لامثيل له من مؤلف قديم ودقيق في بعض البحوث الدقيقة للألفاظ ودليل الكتاب من علم الأصول، بأسلوب أكثر نظماً من الرسالة للشافعي أحياناً.

ب ـ أصول الفقه لدى المتكلمين خلال العقود المنتهية بالقرن ٤هـ

خلال هذه العقود كان الفكر الغالب على الأوساط الإمامية فكر أصحاب الحديث الذين كانوا يستفيدون من متون الأحاديث في تأليف آثارهم الفقهية، وبتجنبهم للمنازعات الدرايية والنظرية في الفقه كانوا يجدون أنفسهم في غنىً عن علم باسم أصول الفقه. وفي هذه الفترة، كانت مدرسة متكلمي الإمامية المتقدمين، أي أتباع هشام بن الحكم قد اتجهت نحو الزوال، كما كان انتساب الأفكار الخاصة بالمعتزلة المتنحين ـ مثل ابن الراوندي ـ إلى الأوساط الإمامية قد آلمت المقربين فضلاً عن الغرباء.

و في الحقيقة، فإن البادئ بالحركة الكلامية الجديدة في الأوساط الإمامية خلال ظروف كهذه كان المتكلم الإمامي الشهير، أبا سهل النوبختي (ت ٣١١هـ / ٩٢٣م) الذي استطاع أن يقدم نظاماً كلامياً جامعاً يتمتع بخصائص المذهب الإمامي يكون قادراً على صدّ هجمات المتكلمين المعارضين ويبعث الحياة في علم الكلام الإمامي من جديد. وبرغم أن المنظومة الكلامية التي قدّمها أبو سهل كانت من حيث اللغة في باب تعريف المصطلحات وأسلوب الاستدلال وكذلك من حيث تناول البحوث وتبويبها، تنسجم كثيراً مع علم الكلام لدى معتزلة ذلك الزمان، لكنها من حيث اتخاذ المواقف كانت قد انتهجت سبيل الدفاع عن المواقف التقليدية للإمامية. وبهذه المقدمة، ينبغي القول في الحقيقة إن تناول أبي سهل لبحوث أصول الفقه أيضاً بأسلوب متكلمي ذلك العصر كان جزءاً من بحوثه الكلامية. و إن استنتاج أن أبا سهل قد مال بأسلوبه الأصولي إلى المدرسة الظاهرية لايستند إلى أساس.

إن أهم أثر أصولي لأبي سهل يجدر ـ استناداً إلى الشواهد ـ أن يكون أول أثر جامع، لكن جدلي في أصول الإمامية هو ردّه المعنون نقض رسالة الشافعي الذي ذكره ابن النديم و من بعده الطوسي في فهرستيهما. وفضلاً عن ذلك، فقد ألف أبو سهل في أصول الفقه آثاراً كان موضوعها نفي اجتهاد الرأي والقياس، الخصوصية التي كانت الفكرة الغالبة على الأوساط الإمامية والتي كانت مدرسة متقدمي المعتزلة تدافع عنها أيضاً. جدير بالذكر أنه لم يبقَ أيٌّ من ردّ أبي سهل على ابن الراوندي في باب الرأي، أو ردّه على عيسى بن أبان في باب القياس، أو مؤلَّفه الجدلي الآخر إبطال القياس.

وطوال القرن ٤هـ، وإلى جانب أبي سهل النوبختي و في الأجيال التي أعقبته، استمر الأسلوب الأصولي للمتكلمين في الأوساط الإمامية على أيدي شخصيات أخرى من علماء الكلام. وعلى رأسهم ينبغي ذكر الحسن بن موسى النوبختي الذي أشار النجاشي إلى كتابه المسمى كتاب في خبر الواحد والعمل به؛ إلا أن الآثار الأخرى لهذا الفريق أُلفت بشكل عام في مجال نفي استخدام الرأي والقياس؛ و من هذه المجموعة ينبغي أن نذكر مؤلفات مثل الرد على أصحاب الاجتهاد والقياس لعبد الله بن عبد الرحمان الزبيري وكتاب في إبطال القياس لأبي منصور الصرام النيسابوري وأثر بنفس العنوان لأبي محمد يحيى العلوي، وجميعها مفقود اليوم. وأخيراً ينبغي ذكر أثرين في الأصول هما إبطال مذهب داود الأصبهاني والرد على أصحاب الاجتهاد في الأحكام لأبي القاسم الكوفي (ت ٣٥٢هـ / ٩٦٣م) اللذين كان مؤلفهما إمامياً، لكن بخصائص متباينة مع مدرسة أبي سهل النوبختي.

ويمكن أن نعثر على مثال للتعامل الجدلي لمتكلمي ذلك العصر مع مسألتي الرأي والقياس في الآثار التي خلفها علماء مثل ابن شاذان النيسابوري وابن قبة الرازي. أما في تعاليم المتكلمين في البحث الأصولي حجية خبر الواحد، فقد تمّ تلافي الضعف الاستنادي في حجية أخبار الآحاد وذلك من خلال إجماع الطائفة على الخبر، وهو الأمر الذي له جذور في روايات الإمامية وأساليبهم القديمة والذي اتخذ شكلاً مدوَّناً في آثار المتكلمين؛ كما حدث مثلاً لدى ابن قبة الرازي (ت أوائل القرن ٤هـ) عندما أكد في كتابه «نقض الإشهاد» وضمن إضعاف أخبار الآحاد وعدم الاعتماد على شيوع الأخبار الكاذبة المنسوبة إلى الأئمة عليهم السلام، على الأخذ بـ «ما يُجمع عليه» من الأخبار.

و من بين المتكلمين الفقهاء في النصف الأول من القرن ٤هـ، ممن اشتهر بوصفه شخصية له مدرسة و لم يُعرف له أثر مستقل في الأصول، كان ابن أبي عقيل العماني الذي يمكن أن نعدّ أسلوبه الفقهي ـ استناداً إلى دراسة آرائه ـ قريباً من أسلوب متكلمي المعتزلة في «الاستخراج»، وبطبيعة الحال على أساس تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام. و في ضوء نظرة تحليلية للآراء المنقولة عن ابن أبي عقيل، رأى مدرسي طباطبائي أن أسلوبه الفقهي قائم على القواعد القرآنية الكلية والأحاديث الشهيرة المجمع عليها مما ينسجم والأساليب الأصولية المعروفة عن المتكلمين المتقدمين.

ج ـ ابن جنيد المدافع عن القياس في الأصول الإمامية

في النصف الثاني من القرن ٤هـ، كان ابن جنيد الإسكافي في الأوساط الفقهية الإمامية شخصية استثنائية يقدم بانتهاجه أسلوباً قريباً من أساليب أصحاب الرأي، نظاماً فقهياً ـ أصولياً مختلفاً تماماً، بحيث يصعب أن يُعَدّ ـ لدى البحث في الخلفية ـ مرتبطاً بمدرسة خاصة من بين المدارس الإمامية. و إن الرد الذي كتبه ابن جنيد على الزجاجي النيسابوري وانبرى فيه للدفاع عن الفضل بن شاذان ـ برغم أنه لاتتوفر معلومات كافية عن مضمونه ـ يمكن أن يكون بشكل إجمالي دالاً على أن ابن جنيد كان يرغب في أن يثبّت فكره في مصاف فكر الفضل، و مع قليل من التعميم على علاقة بمدرسة هشام بن الحكم.

وخلافاً للأسلوب المشهور لدى المتكلمين وأصحاب الحديث من الإمامية في عصره، كان ابن جنيد في أساليبه الأصولية يطرح حجية القياس والعمل باجتهاد الرأي بشكل علني، كما كان قد ألف آثاراً بهذا الشأن. و لم‌يكن يعدّ أسلوبه هذا بدعة في المذهب الإمامي، وكان يرى أن مسألتي القياس والرأي قد أُظهرتا في الفترة ما بين عصر الأئمة عليهم السلام وعصره، بشكل مختلف يكتنفه الغموض، بل وحتى الستر العمدي. وبرغم أن ابن جنيد قد طرح هذا المعتقد في أثرين أصوليين اتخذا اليوم مكانيهما في عداد الآثار المفقودة، لكن كل واحد من عنواني هذين الكتابين بشكل: كشف التمويه والإلباس على أغمار الشيعة في أمر القياس، وإظهار ما ستره أهلُ العناد من الرواية عن أئمة العترة في أمر الاجتهاد، يتضمن من الموضوعات بهذا الشأن ما يعدل كتاباً.

و لم يعرف لابن جنيد مؤلَّف في المجالات الأصولية الأخرى، لكن استناداً إلى معتقداته الكلامية في باب الإمامة، يمكن القول إنه بنفس القدر الذي كان يمكن له أن يظهر فيها قبول حجية الرأي والقياس، كان يتقبل بقية الأدلة الظنية أيضاً. واستناداً إلى تحليل آرائه الفقهية أيضاً يستنتج أنه في نظامه الأصولي كان له في الأدلة النقلية الظنية مثل ظواهر الكتاب وأخبار الآحاد، أسلوب منسجم مع آراء فقهاء أهل السنة وبعيد عن الفقهاء المتكلمين الإمامية.

وجدير بالذكر أن تعاليم ابن جنيد وبرغم عدم اهتمام العراقيين بها، حظيت بقبول خاص في خراسان التي كانت منطقة نفوذ تعاليم الفضل بن شاذان خلال حياته على الأقل. ومن بين الموافقين له فكرياً المعروفين في العراق وفي الفترات التالية بطبيعة الحال، كان الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ / ١٠١٥م) الذي طرح في آثاره أصول الفقه بشكل عام، واجتهاد الرأي والقياس بشكل خاص بأسلوب قريب من ابن جنيد.

د ـ التعليم الأصولي في حلقتي درس الشيخ المفيد والشريف المرتضى

ينبغي أن يُعدّ العقدان الأخيران من القرن ٤هـ، منعطفاً في تاريخ الأصول الإمامية؛ ذلك أنه وبظهور الشيخ المفيد (ت٤١٣ هـ / ١٠٢٢م) و من بعده الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م)، الفقيهين المتكلمين، ظهر في العراق تيار لتنظيم أسس فقه الإمامية وتدوين أصول الفقه كان أساساً استمراراً للمسار السابق للمتكلمين. وبرغم الاختلافات التي كانت تلاحظ في التفاصيل بين تعاليم هذين الاثنين، فإن فكرهما الأصولي كان باتجاه واحد في الكليات. وكان الأسلوب الفقهي للمفيد والشريف المرتضى ـ وبحسب الأسلوب السائد لدى المتكلمين ـ قد بُني على أساس نفي حجية خبر الواحد، وكان يُستند إلى أخبار الآحاد في حالة كون مضامينها تُدعم بقرائن خارجية فحسب.

و قد اعتمد الشيخ المفيد في المقارنة التي طرحها في كتابه أوائل المقالات على نفي حجية خبر الواحد بوصف ذلك رؤية مشتركة بين الموافقين له فكرياً و بين غالبية المعتزلة، و في بقية آثاره وكمفتاح لاستخدام الأخبار، عدّ الأخذ بالأخبار المجمع عليها بين أوساط الطائفة أمراً ضرورياً. وكأداة لسد الفراغ الناجم عن نفي حجية أخبار الآحاد، يُلاحظ استخدام إجماع الطائفة الإمامية أيضاً بوصفه مستنداً مستقلاً في البقايا القليلة من الفقه الاستدلالي للشيخ المفيد، و قد بلغ استخدامه الذروة في فقه الشريف المرتضى الذي أوضح بصراحة أن استنباط أغلب الأحكام الشرعية يقوم في رأيه على أساس إجماع الطائفة.

والشيخ المفيد والشريف المرتضى هما رائدا تأليف الآثار الجامعة في أصول الفقه الإمامي، و لم تؤلف قبلهما في الأوساط الإمامية آثار كهذه بشكل جذري وغير جدلي. فكتاب التذكرة للشيخ المفيد هو مؤلف شامل يحتوي على بحوث الألفاظ والأدلة، لكنه مختصر، وبعد فترة قصيرة، أقدم الشريف المرتضى، تلميذ الشيخ المفيد على جمع كتاب الذريعة إلى أصول الشريعة الذي يعدّ أول مؤلف تفصيلي في أصول الفقه الإمامي. وكان الشيخ المفيد قد ألّف أيضاً ـ فضلاً عن الأثرين المذكورين ـ آثاراً في الإجماع والقياس والرأي، كما تناول الشريف المرتضى في رسائل بعناوين: «جواب المسائل التبانيات» و«مسألة في الإجماع» و«عدم تخطئة العامل بخبر الواحد» و«إبطال العمل بأخبار الآحاد»، وبشكل خاص مبحثي الإجماع وخبر الواحد الأصوليين.

و في دراسة عناوين الفصول، يلفت النظر في التذكرة للشيخ المفيد أن البحث تأطّر بإطار مختلف تماماً عن الإطار المتعارف في الكتب الأصولية ومنها الذريعة، و عدّ أصول الأحكام الشرعية ثلاثة: كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أقوال الأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ وتبعاً لذلك، عُدّت طرق الوصول إلى معرفة الحكم الشرعي من هذه الأصول الثلاثة: العقل واللسان والأخبار.

المصدر: مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى

مقال

الجذور القرآنية للوحدة الإسلامية

من الأمور التي كثر الحديث عنها في أيامنا، مسألة الوحدة الإسلامية، والتي تغص المنابر الإعلامية والثقافية بالدعوة لها ومحاولة تثبيتها في فكر الناس، وتجسيدها عملاً بين المسلمين.

ومن المناسب في هذا التمهيد أن نذكر الجذور الإسلامية لهذه الفكرة، فالفكرة أساساً لم تكن منطلقة من فكرٍ شخصي واجتهاد واستنساب يُظنُّ فيه المصلحة للناس، بل إن أساسها وجذورها الحقيقي من قلب الشريعة الإسلامية، وهذا يميزها بأمور:

١. أنها فكرة أصيلة بحد ذاتها وثقافة من قلب الإسلام ولم تستورد إليه ولم تخترع لظروف سياسية أو مرحلية.

٢. تمتلك هذه المسألة بعداً ثقافياً يجعلها فكرة قابلة للإقناع لأنها تعني كلَّ مسلم، وكل ذي ثقافة إسلامية أصيلة.

٣ ـ أنها مسألة قابلة للدوام بسبب كونها أصيلة بخلاف الثقافات التي لا تعتمد على أساس ثابت، ولهذا فإن الوحدة الإسلامية يمكن أن تكون حلاً لمسائل المسلمين في جميع العصور.

الإمام الخميني قدس سره رائد الوحدة

في الوقت الذي كانت الأمة الإسلامية في حالة من الاحتضار على كل مستوياتها، قامت ثورة مباركة، قام بها شعب أعزل بقيادة العالم الزاهد الشجاع القائد السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره في إيران، والتي كانت مرتعاً للمخابرات الأجنبية ولا سيما الأمريكية والصهيونية، وأرضا مسلوبة الخيرات مسخرة لتنفيذ المآرب الكبرى لقوى الاستكبار العالمي وأذنابه من الحكام الذين باعوا ضمائرهم وشعوبهم ليصبحوا مجرد أداة بيد أسيادهم الإمبرياليين الطامعين بالسيطرة على مقدرات العالم.

قيام هذه الثورة المباركة أحبط الكثير من المؤامرات، وأهمها التي كانت تحاك لتوسعة الشق الكبير في الأمة الواحدة، فلطالما كانت التفرقة بين مذاهب الأمة من الأساليب الدنيئة التي ينتهجها العدو الطامع للسيطرة على الأمم الأخرى، فقاعدة فرق تسد تاريخيا لم يخل عهد ولا زمان من رموز انتهجت هذه القاعدة كأسلوب ناجح تتوصل به إلى الهيمنة في بعض الأحيان، ولاستتباب الهيمنة في موارد أخرى، فإن السيطرة على أمة ممزقة، ومتكالبة على أطرافها غافلة عما يحاك لها أمرٌ في غاية السهولة، ولا يكلف العدو إلا عناء جني الثمار بعد أن أنضجتها الخلافات والنزاعات.

ولوعي الإمام الخميني قدس سره في تلك الفترة لخطورة الأمر على الأمة، فقد ركز في الكثير من توجيهاته وخطاباته على مسألة الوحدة الإسلامية، ولم يألُ جهداً في تذكير الأمة دائماً بخطر الاختلاف والتشرذم، وهذا ما سنحاول الإضاءة على أبعاده حيث يصح القول بحق إن أفضل من دعا إلى الوحدة وكرسها عملاً في حياته وأورثها للأجيال هو الإمام الخميني.

الجذور القرآنية للوحدة الإسلامية، يقول الله تعالى في محكم قرآنه:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

إن الآية الشريفة تتحدث بوضوح عن التوحد ونبذ الاختلاف بين المسلمين، حيث تدعوهم للاعتصام أي التمسك جميعاً بحبل الله، والاعتصام يكون طلباً للعصمة وهي الحفاظ والغطاء، وهذا يعني أن في ترك هذا الاعتصام الهلاك الحتمي وهذا ما يكون من خلال التفرق والاختلاف على الأمور الصغيرة.

كما أن الله سبحانه وتعالى يمنن علينا بنعمة الإسلام هذا الدين الذي يجمعنا جميعاً على كل اختلافاتنا في دائرة واحدة، بعد أن كانت تفرقنا القوميات والعشائر والمناطق والشعب، فحين هدى الله تعالى الناس برسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، أخرجهم من ظلام هذه القواقع الفارغة إلى رحابة الإسلام دين الإنسانية والرحمة والسلام، وهذا من أكبرِ نعم الله تعالى علينا.

وكذلك نجد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن الوحدة وتحذر من الإختلاف وسنستعرض بعضها، فمنها قول الله تعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَا هُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

ومن هنا فإن الإمام الخميني قدس سره طالما أكد على أهمية وعي الأساس الديني والقرآني للوحدة ومما قاله في هذا الإطار:

ولطالما حذَّر مما حذر منه القرآن الكريم وهو التنازع والتناحر حيث يقول قدس سره:

"اليوم على الجميع أن يتحدوا مع بعضهم، وأن لا يتنازعوا بموجب تعليمات الإسلام والقرآن الكريم. فالتنازع ممنوع حسب أوامر القرآن مهما كان نوعه. وإذا تنازعوا فإنه يؤدي إلى الفشل، وتذهب ريحهم، سواء الأشخاص أو الشعوب. وهذه أوامر الله. إن الذين يدعون الإسلام، ويسعون من أجل زرع الفرقة والتنازع لم يجدوا ذلك الإسلام الذي كتابه القرآن، وقلبته الكعبة، ولم يؤمنوا بالإسلام. إن الذين آمنوا بالإسلام إنما هم الذين يقبلون القرآن ومحتوى القرآن الذي يقول (إنمّا المؤمنون إخوة) فيلتزمون بكل ما تقتضيه الأخوّة. تقتضي الأخوة أن يتأثر جميع الإخوان أينما كانوا إذا ألمّت بكم مشكلة، وأن يفرحوا جميعاً لفرحكم".

المصدر: دارالولاية للثقافة والإعلام

▫ مقالة/ الجزء الأول

الخاتمية والمرجعية العلمية لأهل البيت

نقد آراء د.سروش

▫ آيةالله الشيخ جعفر سبحاني/ ترجمة: السيد حسن مطر

▫ الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

▪ مدخل

ألقى الدكتور عبد الكريم سروش، الذي تربطني به صداقة قديمة، كلمة في فرنسا حول المسائل المتعلقة بالتشيّع. وكان لها أصداء واسعة نسبياً. وقد أرسل له المفكر المحترم السيد بهمن پور نقداً على هذه الكلمة. ولكن يبدو أنه لم يُقنعه، ولذلك نشر جواباً تفصيلياً على موقعه، والذي بحوزتي حالياً هو هذا الردّ التفصيلي الذي أخذته من ذلك الموقع.

ونحن بمعزل عن كل هذه الحوارات نستعرض آراء التشيع بشأن (الخاتمية وانقطاع الوحي)، و(المرجعية العلمية للأئمة المعصومين)، و(مصادر علومهم ومعارفهم). ونذكّره بأننا قد أجبنا عن أكثر الإشكالات التي طرحها في كتابنا «أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم»، والذي طبع عام ١٤٢١هـ؛ وذلك لأنّ هذه الإشكالات غير جديدة، وليس هو من أبدعها وابتكرها، وإنما لها جذور في كلام المتقدمين، ولا يسعنا التطرُّق إليها حالياً. وكذلك استعرضتُ في كتاب آخر بعنوان «الاعتصام بالكتاب والسنة»، الذي طبع عام ١٤١٤هـ، الآراء الشيعية بشأن المرجعية العلمية للأئمة المعصومين، ومصادر علمهم، بحيث لا يؤدي إلى أدنى تعارض بينه وبين الخاتمية.

قد يكون عذره أنه لم يحصل على هذا النوع من الكتب، ولكن كان بإمكانه الرجوع إلى كتاب «منشور عقائد إمامية»، الذي تمّ طبعه بمختلف اللغات، الأعمّ من الفارسية والعربية والإنكليزية وغيرها؛ لاشتماله على جميع المسائل التي أثارها بنحو من الأنحاء.

تعود مشكلة هذا النوع من الأقلام في الأساس إلى أنها قطعت علاقتها بالحوزات العلمية والخبراء والمتخصِّصين الحقيقيين في المسائل الإسلامية، ثمّ عمدوا إلى إقامة الحوارات بشأنها ونقدها. وأنا أطالبه شخصياً، وأطلب من الأصدقاء الآخرين، الذين يطرحون أحياناً أفكاراً جديدة، أن يأتوا بها أولاً إلى المحافل العلمية والحوزوية، ليبادروا بعد ذلك إلى نشر خلاصة تلك الحوارات.

إنّ هؤلاء الأصدقاء، مهما كانوا بارعين في الكلام، ومهما بلغوا من العلم، يبقون دون مستوى التخصُّص في المعارف والأحكام الإلهية. أتذكر أنّ الدكتور سروش انتقد في إحدى خطبه الحوزة العلمية في قم، نافياً أن يكون فيها أيّ نوع من أنواع التحقيق والإبداع، فعقدت العزم آنذاك (عام ١٣٧٠هـ ش / ١٩٩١م) إلى لفت انتباهه إلى المراكز التحقيقية في قم؛ إذ أحسستُ أنه يجهل وجود مثل هذه المؤسسات على نطاق واسع. ولذلك فقد أرسلت له دعوة عن طريق بعض الأصدقاء ليقوم بزيارة تفقدية وجولة في مرافق (مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام التعليمية والتحقيقية). وبعد أن قام بتلك الزيارة، واطلع على وجود الكثير من المحقِّقين الكبار، وتأليفاتهم القيّمة، دوَّن ملاحظته في دفتر المؤسسة، ونحن ننقل هنا نص تلك الملاحظة التي وقَّعها باسمه:

باسمه تعالى

كانت زيارة مؤسسة الأستاذ المحترم سماحة الشيخ سبحاني التعليمية والتحقيقية توفيقاً من الله تعالى لي. ماذا يمكنني أن أكتب عن هذه الزيارة، سوى التعبير عن مسرّتي، وعن تمنياتي للإخوة العاملين في هذه المؤسسة مزيداً من النجاح والتوفيق، وتطوير أمثال هذه المؤسسة في قم وسائر مناطق هذه البلاد، لنحصل على مزيد من المعرفة الدينية؟!

والله وليّ التوفيق

عبد الكريم سروش- ١٣٧٠/١١/١٣هـ ش

وبهذا أترك شكواي من هؤلاء العلماء، الذين مارسوا مهماتهم لسنوات طويلة بوصفهم مدافعين عن الإسلام، ومن المستنيرين الدينيين، إلى وقتٍ وفرصة أخرى.

▪ الخاتمية أو انقطاع الوحي التشريعي

اتفقت كلمة جميع المسلمين وأجمعوا على أنّ خاتمية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من ضروريات الإسلام، واعتبارها أصلاً ثابتاً لا يقبل أي تأويل وتحريف في آية الخاتمية، ولا يعطون أي اعتبار لتفسيرها على نحو مغاير لصريحها؛ إذ يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾. (الأحزاب: ٤٠)

ومضافاً إلى هذه الآية الشريفة هناك الكثير من الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومين عليهم السلام في شأن الخاتمية. وقد سحبت تلك الروايات الذريعة من أيدي الذين يدَّعون استمرار النبوّة، والقائلين بمواصلة الوحي التشريعي والتجربة النبوية. وقد كتب علماء المسلمين، من السنة والشيعة، الكثير من الكتب والرسائل في هذا الشأن، وعلى الخصوص المفسِّرون المسلمون كلّما بلغوا هذه الآية الشريفة. ولم يشذّ عن ذلك إلا شرذمة قليلة، بنتها الأصابع الاستعمارية، وهي: البهائية، والقاديانية، في الهند، فإنها أنكرت الخاتمية، وبذلك طردت من حظيرة المجتمع الإسلامي.

▪ مفهوم الخاتمية

إنّ المراد من الخاتمية هو أنه لن يكون هناك من نبيّ بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ باب الوحي سيغلق على الإنسانية، وأنه لن ينزل بعد ذلك على أيّ إنسان وحي يحمل تشريع حكم، أو تعيين تكليف، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال. وإنّ كلّ فردٍ يدّعي أنه يوحى إليه بأحكام إلهية من قبل الله، وأنه حصل على أحكام جديدة وغير مسبوقة من قبل الله، وهي غير موجودة في الديانة الإسلامية وشريعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو مشبوهٌ ومغرض، وهو من وجهة نظر المسلمين منكِرٌ لأصل معلوم من ضرورات الإسلام. ومن جهة أخرى فقد أخبرنا القرآن الكريم عن إكمال الدين؛ إذ يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ (المائدة:٣).

وإنما يتحقق كمال الدين بنزول جميع المسائل المتعلقة بالدين، أعمّ من الأصول والفروع، على قلب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. وإنه صلى الله عليه وآله وسلم قد وضعها تحت تصرّف الأمّة بنحو من الأنحاء.

إنّ هذين الأصلين من الأصول التي لا يمكن لأيّ مسلم أن يتنكَّر لهما. ولكن هناك إلى جانب هذه الأصول حقيقة لا يمكن التشكيك فيها، وهي أنّ مدّة رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد استغرقت ثلاثاً وعشرين سنة. وقد كان منها ثلاث عشرة سنة في مكة المكرّمة، وعشر سنوات في المدينة المنوّرة. وفي المرحلة الأولى لم تكن الأجواء والدعوة بشكل يساعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على تبيين جميع المسائل المتعلّقة بالعقائد والأحكام والتكاليف الإسلامية. لقد كانت الضغوط والإرهاب السائد في مكة بحيث أمر الله نبيّه بترك مسقط رأسه، والتوجه نحو (يثرب)، واختيارها مركزاً لتبليغ دعوته. وقد كانت السنوات العشر من حياة النبي في المدينة مليئة بالحوادث المختلفة والمتنوّعة، المصحوبة بالعقد والمشاكل. فمن جهة قاد النبي بنفسه ستاً وعشرين غزوة، وكان بعض هذه الغزوات يستغرق وقتاً طويلاً، مثل: فتح مكة، وحنين، وغزوة تبوك؛ ومن ناحية أخرى جهَّز ستاً وثلاثين سريّة للجهاد، وكان يعطيهم التعليمات اللازمة، ويوجّههم نحو جبهات القتال.

كان محيط المدينة وأطرافها مركزاً لتجمّعات اليهود، الأمر الذي فتح باب الجدال من قبلهم مع النبي الأكرم. وبعد خيانتهم المفضوحة اضطر النبي إلى مناجزتهم، وواجه عنادهم وتعنتهم بقوة السلاح، وأجلى قبائل بني قينقاع وبني النضير، ثم توجه نحو بني قريظة وأهالي خيبر فلحق بهم المصير المعلوم للجميع.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم في مدّة إقامته يكاتب رؤساء القبائل، ويعقد المواثيق والعهود السياسية والعسكرية، التي حفظت نصوصها في كتب السير والتواريخ. وإنّ ما كتبه أحمد ميانجي تحت عنوان «مكاتيب الرسول» يُعدّ من أكثر الكتب جامعية في هذا الخصوص.

وعلى الرغم من الموانع والصعوبات الكثيرة التي أحاطت بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من كلّ جانب فقد عمل كلّ ما في وسعه من أجل بيان الأصول والأحكام الدينية العامة للناس. وكان نفسه يُذكّر من طريق الوحي الإلهي بأنّ ساحة التشريع لا تخلو من واحدٍ من أمرين، هما: حكم الله؛ أو حكم الجاهلية. وإنّ كلّ حكم لا يعود بجذوره إلى الإسلام فهو من أحكام الجاهلية. قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ﴾ (المائدة: ٤٩). وإنّ كلّ حكم وقضاء لا ينتهي إلى القوانين والأحكام الإلهية فهو من أحكام الجاهلية أيضاً: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

وعليه ينبغي القول: إنّ النبيّ الأكرم هو خاتم الأنبياء. وقد انقطع بعد رحيله الوحي التشريعي؛ لأنه قد أكمل الدين الإلهي. وقد احتوت شريعته كل ما يحتاجه الإنسان لحياته.

ومن جهة أخرى فقد حالت المشاكل والعراقيل دون بيان النبي لبعض الأصول والأحكام العملية. ولجبران ذلك عمد، بأمر من الله، إلى استئمان جماعة على ما لم يستطع بيانه وتوضيحه. وإنّ تلك الجماعة هم عترته وأهل بيته عليهم السلام، الذين عرفوا في بعض روايات النبي الأكرم بأنهم عدل القرآن وأحد الثقلين. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله؛ وعترتي أهل بيتي».

وهنا يأتي التساؤل القائل: ما هي مصادر علوم أهل البيت ومعارفهم؟ وكيف يشرحون الأحكام والتكاليف التي لم ترِدْ في القرآن الكريم وسنّة النبي؟ وهذه هي الشبهة التي يؤكد عليها الدكتور سروش. ونحن سنطرح آراءه في عدة محاور، ونعمل على تحليلها، والإجابة عنها.

▪ المحور الأول: عدم انسجام المرجعية العلمية مع الخاتمية

هذا هو السؤال الذي طرحه سروش في المحور الأول؛ إذ قال: «كيف يأتي بعد خاتم الأنبياء أشخاص يتحدَّثون؛ استناداً للوحي والشهود، بكلام لا أثر له في القرآن والسنة النبوية، وفي الوقت نفسه تكون تلك الكلمات تعليماً وتشريعاً، وإيجاباً وتحريماً، وعلى مستوى الوحي النبوي في العصمة والحجيّة، ومع ذلك لا يضرّ هذا بالخاتمية؟ فأي شيء تنفيه الخاتمية وتمنعه؟! وأي شيء تحول الخاتمية دون وقوعه وحصوله؟! وأي فرق بين وجود وعدم هذه الخاتمية الرقيقة والمهلهلة التي تنتقل جميع شؤونها إلى الآخرين؟! لقد عمد الشيعة من خلال طرحهم نظرية الغيبة إلى تأخير فلسفة الخاتمية لقرنين ونصف من الزمن».

إنّ حاصل كلامه أنّ الاعتقاد بإمامة المعصومين عليهم السلام، والقول بمرجعيتهم العلمية، يتنافى مع القول بأصل خاتمية النبي الأكرم؛ وذلك لأنّ معنى الخاتمية هو أنّ باب الوحي قد أغلق بعد رحيل النبي الخاتم إغلاقاً كاملاً، ولن ينزل بعد ذلك وحي على أي فردٍ من أفراد الإنسانية. ومن جهة أخرى فإنّ معنى مرجعية الأئمة المعصومين عليهم السلام تعني أننا نحصل منهم على أحكام لا وجود لها في القرآن الكريم وسنّة النبي. ولازم ذلك أنهم أنبياء يوحى إليهم كما يوحى إلى النبي، وأنهم يحصلون على أحكام من العالم العلوي والسماوي.

▪ مصادر علم الأئمة المعصومين عليهم السلام

إنّ التعارض الذي تصوّره الكاتب بين ختم النبوّة وبين المرجعية العلمية للأئمة المعصومين عليهم السلام يدلّ على أنه لم يلاحظ المصادر العلمية التي يستند إليها هؤلاء المعصومون، أو أنه يجهلها. وهنا سنشير إلى مصادر علوم الأئمة الأطهار عليهم السلام. وبذلك سنرى عدم وجود أدنى تعارض بين (الخاتمية) وبين مرجعيتهم العلمية.

أ.الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ الأئمة المعصومين عليهم السلام يأخذون الأحاديث عن رسول الله، مباشرة أو من طريق آبائهم الكرام، وينقلونها إلى الآخرين. وإنّ هذا النوع من الأحاديث التي يأخذها كلّ إمام عن الإمام الذي يسبقه حتى تنتهي سلسلتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موجودة في المصادر الحديثية المعتمدة عند الشيعة بكثرة. ولو تمّ جمع هذه الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت بسند متصل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب واحد لحصلنا على مسند ضخم، يمكنه أن يكون كنزاً عظيماً للمحدِّثين والفقهاء المسلمين؛ لأن الروايات التي تتمتَّع بمثل هذا السند المحكم والمتين لا مثيل لها في عالم الحديث. ومن باب المثال نشير، من باب التبرك والتيمّن، إلى واحد من هذه الأحاديث، التي يقال: إن هناك صورة محفوظة له في خزانة سلسلة (السامانيين) المحبة للأدب والثقافة، وهو الحديث المعروف بسلسلة الذهب: روى الشيخ الصدوق (٣٨١هـ) بسندين عن أبي الصلت الهروي أنه قال: كنت مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عند اجتيازه نيسابور، إذ تجمّع حوله جماعة من المحدِّثين في نيسابور، مثل: محمد بن رافع، وأحمد بن حرب، ويحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وجماعة من أهل العلم، فأخذوا بركابه، وقالوا: نسألك بحق آبائك الأخيار الأطهار إلا ما حدثتنا حديثاً سمعته من أبيك. وعندها أخرج الإمام رأسه من محمله، وقال: «حدّثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام، قال: حدّثني أبي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، قال: حدثني أبي أبو جعفر محمد بن علي باقر علم الأنبياء عليهم السلام، قال: حدثني أبي علي بن الحسين سيد العابدين عليه السلام، قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله جلّ جلاله يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»، ثم واصل طريقه، فأدار رأسه، وقال: «بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها».

وعليه فإنّ جانباً من علومهم ومعارفهم قد توارثوه مشافهة عن آبائهم عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم.

والملفت للانتباه أنّ هذا الإشكال الذي يطرحه الدكتور سروش كان مطروحاً من قبل المخالفين في عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام أنفسهم. وقد كان يتم طرحه على صيغة تساؤل، وأحياناً يتخذ طابعاً اعتراضياً، فيسألونهم عن مصدر أحاديثهم ورواياتهم، وكانوا عليهم السلام يجيبون عن هذا التساؤل والاعتراض على النحو التالي: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ».

ب.النقل من كتاب علي عليه السلام

كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مصاحباً وملازماً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في جميع مراحل البعثة. وقد تمكن بذلك من جمع الكثير من أحاديث النبي في كتاب، بل كان ذلك الكتاب في الحقيقة بإملاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخط علي. وكان من خصوصيات ذلك الكتاب أنه يتوارثه كل إمام عمَّن سبقه بعد استشهاده. وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في صفة هذا الكتاب: إنّ طوله سبعون ذراعاً، وإنه من إملاء رسول الله وخط علي بن أبي طالب، وفيه كل ما يحتاج إليه الناس، حتى الأرش في الخدش.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الكتاب كان يتمّ توارثه بين الأئمة عليهم السلام. وقد روى عنه الإمام الباقر والصادق' مراراً وتكراراً، وكانا أحياناً يظهرانه لأصحابهما أيضاً. وهناك حالياً الكثير من الروايات المنقولة عنه في المجامع الحديثية، وخاصة «وسائل الشيعة»، وهي مبثوثة في مختلف أبوابه.

ج.الاستنباط من الكتاب والسنّة

كان الأئمة المعصومون عليهم السلام يستنبطون شطراً من الأحكام الشرعية النازلة على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وهو استنباط لم يكن بوسع غيرهم التوصّل إليه. ونذكر في ما يلي نموذجاً؛ ليقف القارئ الكريم على أن شطراً من مصادر علومهم كان من هذا النوع من الاستنباطات:

في عهد المتوكِّل العباسي ارتكب رجل من النصارى موبقة الزنا مع امرأة مسلمة، وحيث كان هذا العمل يمثل خرقاً لشروط الذمة فقد حكم عليه بإهدار دمه، ووجب قتله، وعندما أرادوا تطبيق هذا الحكم في حقّه بادر إلى النطق بالشهادتين، وأعلن الإسلام؛ لينجو بنفسه، وفقاً لقاعدة «الإسلام يجبّ ما قبله»، الأمر الذي أدى إلى انقسام فقهاء البلاط العباسي على أنفسهم؛ فذهبت جماعة إلى أنه قد أسلم، وقطع صلته بالماضي، وهذا يدرأ عنه القتل، ويُسقط عنه الحد؛ وذهبت جماعة ثانية إلى وجوب أن يقام عليه الحدّ ثلاثاً؛ وذهبت طائفة ثالثة إلى حكم آخر، فاضطر المتوكِّل العباسي إلى التماس حكم هذه المسألة عند الإمام الهادي عليه السلام، فقال الإمام عليه السلام: إنّ حكمه هو القتل؛ وذلك لأنّ هذا الإسلام المعلن عنه في ساعة الضيق والخوف والفزع يفقد قيمته؛ وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: ٨٤-٨٥).

لقد اعتبر الله تعالى في هذه الآية عدم جدوائية الإيمان الناتج عن الخوف من العذاب سنّةً إلهيةً لا تقبل التبديل أو التحويل.

لقد قرأ الفقهاء والمفسّرون بأجمعهم هذه الآية، وفسَّروها، دون أن يوفَّق أيٌّ منهم إلى هذا الفهم. إنّ هذه المدركات العميقة والواقعية هي من المواهب الإلهية التي خصّ الله بها الأئمة من أهل بيت النبي، وشكل ذلك جزءاً من مصادر علومهم ومعارفهم. ومن هنا قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يَدَعْ شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلاّ أنزله في كتابه، وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم». وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلاّ وفيه كتاب وسنّة». وسأل سماعة، وهو من الفقهاء، الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «أكلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، أو تقولون فيه؟ قال عليه السلام: بل كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه». وكان الإمام الباقر عليه السلام غالباً ما يستشهد بآيات القرآن الكريم، ويقول: «إذا حدثتكم بشيء فاسألوني من كتاب الله..».

وعليه لم يكن الأئمة المعصومون عليهم السلام مبتدعين في مجال المعارف والأحكام، بل لكل ما يقولونه جذور في الكتاب والسنة. وكان نوع استنباطهم مستحيلاً على غيرهم.

د.الإلهام الإلهي

وهناك مصدر آخر لعلوم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يمكننا تسميته بالإلهام؛ إذ ليس الإلهام من مختصّات الأنبياء، فقد تمتَّع به الكثير من الصالحين والأوصياء على طول التاريخ. فقد أخبر القرآن الكريم عن أشخاص لم يبلغوا مرتبة النبوّة، ومع ذلك كان الله تعالى يُلهمهم أسراراً من عالم الغيب، من قبيل: (الخضر) صاحب موسى عليه السلام؛ إذ يقول عنه تعالى: ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: ٦٥).

إنّ هؤلاء الأفراد لم يحصلوا على علمهم من الطرق العادية، بل إنّ علمهم ـ كما يعبّر القرآن الكريم ـ علم لدني؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾. وعليه فإنّ عدم النبوّة لا يحول دون حصول بعض الشخصيات الإلهية السامية على الإلهام الإلهي. ويسمى هذا النوع من الأفراد في كتب الحديث عند الفريقين بـ «المحدَّثون»، أي أناس تتحدث إليهم الملائكة، دون أن يكونوا من الأنبياء.

فقد نقل البخاري في «صحيحه» عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لقد كان في من قبلكم من بني إسرائيل مَنْ يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء».

وبذلك فإنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث كانوا مرجع الأمة في تبيين المعارف الإلهية والأحكام الدينية، كانوا يحصلون على أجوبة ما يعرض لهم من الأسئلة عن طريق الإلهام وعلم الغيب، إذا لم يكن الجواب موجوداً في المرويّ عندهم من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكتاب الإمام علي عليه السلام.

ويمكن لنا أن نستنتج من هذا البيان أن الذين يوردون مثل هذا الإشكال لم يفرِّقوا بين الوحي التشريعي والإلهامات الإلهية، وتصوَّروا أنّ كلّ من يُلهَم لابد أن يكون نبياً بالضرورة. في حين أنّ كون الإنسان (محدَّثاً) هو من المراتب التي ينالها الصالحون، فتحدِّثهم الملائكة، وإن لم يكونوا أنبياء. كما تقدم أن مثَّلنا لذلك بصاحب موسى عليه السلام، الذي كان حاصلاً على العلم اللدني؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾، ولم يكن نبياً.

انتهى الجزء الأول

المصدر: نصوص معاصرة، العدد الواحد والعشرون

السنة السادسة، شتاء ٢٠١١م، ١٤٣٢هـ

الآفاق
• السنة الثانية
• العدد ٣٨
• الأثنين ١٦ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ.ق
• ٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
• متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
• المشرف: رضا رستمی
• مدير التحرير: علی رضا مکتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
• هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
• ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
• العنوان: قم، شارع جمهوری، زقاق ٢، رقم ١٥
• الموقع: www.ofoghhawzah.ir
• البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
• تصميم: السيد امير سجادی • مسئول الطبع: مصطفى اويسی
• طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨+

شعر وقصيدة

في مديح الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام

آية الله سيد محمد شيرازی

عطر من المجد الرفيع العابق
أهدي لمولانا الإمام الصادق
الصادق الأقوال والأفعال و
الأعمال لا أحد عليه بسابق
نشر العلوم على الأنام جميعهم
من علمه الجمّ الوفير السامق
تلميذه العلماء في كل الدنا
فمثاله مثل الضياء الشارق
في الفقه والتفسير والتوحيد و
الأديان ليس لهم عليه بلاحق
والكيمياء بما أتى من معجز
في الإكتشاف وما له من خارق
منه ترشّح نحو جابر، والأولى
رئسوا المذاهب من طموح رامق
قد تلمذوا عند الإمام، وإنه
منه الهدى، بمغارب ومشارق
فسواه كالنبت الضعيف وإنه
في رفعه النخل العظيم الباسق
خط السعادة للأنام بمنهج
عدل المناكب، مستقيم، رائق
وله من الأخلاق ما فاحت شذى
تجلو النفوس كعطر ورد شقائق
يهدي الأنام إلى السعادة والهدى
فسبيله يبقى وليس بزاهق